مطبوعات المجمع العلمي

ديوان الأثري

الجزء الثاني

بغـداد

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

مطبوعات المجمع العلمي

ديوان الأثري

الجزء الثاني

بغداد

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

الباب الرابع

الطبيعة ودنيا العمران

بغـداد .. مدينة السلام

« قال يونس بن عبدالأعلى :
قال لي (محمـد بن ادريس الشافعي) ، رضي الله عنه : يا (يونس) ، أدخلت بغداد ؟ فقلت : لا . فقال : « يا (يونس) ، ما رأيت الدنيا ، ولا الناس »

طا وَلَتْ ناصِيَةَ الشَّمْسِ عَنَـــانا
وَشَأَتْ قاصِيَةَ النَّجْمِ عِنَـــانا (١)

ضاهَتِ الشَّمْسَ ، ولاكِنْ شَأْنُها
كانَ أعْلَى مِنْ عُلا الشَّمْسِ مَكانا (٢)

يَعْتَرِي الشَّمْسَ أفُولٌ ، وَهْيَ فـي
أفْقِها طالِعَــةٌ آنــاً فآنــا

* * *

(١) العنان (الأولى) ، بالفتح : عنان السماء ؛ وهو ما عن لـك منهـا اذا نظرت اليها ، أي : مابدا لك منها . والعنان (الثانية) ، بالكسر : الشوط . وفي « أساس البلاغة » : ومن المجاز تقول : جاء ثانيا من عنانه ، اذا قضى وطره ، وملأت عنان الفرس : بلغت به مجهوده في الحضر . ــ شأت : سبقت .

(٢) ضاهت : شاكلت .

يا لَها جَوْهَرَةً ! شَفَّتْ سَنــــا

مِــنْ نَواحِيها ، وراعَتْ لَمَحانــا

أبَــداً تُبْصِرُهــــا فاتِنَــةً ،

يَهْرَمُ الدَّهْرُ ، وتَغْلُو عُنْفُوانــا (٣)

كُلَّما جَـــدَّ عليهـا قِـــدَمٌ ،

نَضُرَتْ وَجْهاً ، وزادَتْ لَمَعانـــا ،

تَنْتَحي أفْقــاً فَأُفْقــاً صُعُــــداً

وتَرُودُ المَطْمَحَ الأرْفَعَ شــــانا

كَبُرَتْ مَأْرَبَ نَفْسٍ وَهَــــوًى

وسَمَتْ مَطْرَحَ لَحْظٍ ورِهانــــا

دُونَ أدْنَى هِمَّةٍ مِنْ عَزْمِها

تُسْلِسُ الشُّمْسُ لِكَفَّيْها لِيانــا (٤)

• • •

لَمْ يَرَ الدُّنْيا امْرُؤٌ لَمْ تَــرَهــا

عينُهُ يوماً ، ولا النّاسَ الرِّزانــا (٥)

مُشْتَهَى طَرْفٍ ، ومَهْوَى خافِـقٍ

يَعْشَقُ الحُسْنَ ويَعْلُو خَفَقانا (٦)

---

(٣) عنفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته .

(٤) الشمس : جمع الشموس ، بفتح أوله ، وهو العسر الشديد .

(٥) تلميح الى قول الامام محمد بن ادريس الشافعي ، رحمه الله ، ليونس ان عبد الأعلى ، الذي صدرت به القصيدة ، في صفة (بغداد) وناسها .

(٦) الخافق : صفة للموصوف المحذوف ، وهو القلب .

وَمُنَى نَفْسٍ تَصَبَّاها الْهَــــوَى :
رَأَتِ الأُنْسَ لَدَيْها والأمانــــا

* * *

وَرِثَتْ ما أَثَّلَتْـــهُ (طَيْبَــةٌ)
و(دِمَشْقٌ) ، وأَجَدَّتْهُ زِيــانا (٧)
كُلُّ ما اسْتُكْرِمَ مِنْ مُسْتَحْدَثٍ
تَصْطَفِي أَغْلاهُ ماسـاً وجُمانا (٨)

* * *

وَرِثَـتْ غرسَ المعالي طَيِّبـــاً
وَسَقَتْهُ دِرَّةَ الحُبِّ لِبانا (٩)
أَتْرَفَتْ غُرّانَها ، فَازْدَهَــرَتْ
وزَكَتْ مَجْنًى وآثــاراً حِسانا (١٠)
كالْتِماحِ الفَجْرِ عَقْــلاً نَيِّراً
واعْتِدالِ الغُصْنِ أَخْلاقاً لِدانا (١١)

---

(٧) طيبة : المدينة المنورة . ـ أجدته : صيرته جديدا ، فتجدد . ـ الزيان ، بالكسر : ما يتزين به ، كالزينة .
(٨) استكرم الشيء : طلبه كريما ، أو وجده كريما . ـ تصطفي : تختار . ـ الجمان ، بالضم : اللؤلؤ ، أو هنوات أشكال اللؤلؤ من فضة .
(٩) الدرة : اللبن . ـ اللبان ، بالكسر : الرضاع .
(١٠) الغران : جمع غرير ، وهو الحسن ، وغرة الرجل : طلعته ووجهه ، ووجه غرير : حسن .
(١١) اللدان : جمع لدن ، وهو اللين من كل شيء .

رُحِمَ (المنصورُ) ! هَلْ شادَتْ بِهـا
يَدُهُ إلّا حَيـاةً وكِيانا ! (١٢)

• • •

سُدَّةُ المُلْكِ . . ومِنْ أطْـرافِهـا
لَمَّتِ الدُّنْـيا فِجاجاً ورِعانـا ! (١٣)

جَمَعَتْ تيجانَهـا فـي واحِـدٍ
جَمَعَ المَجْدَ مَكاناً وزَمـانا !

دُوِّرَتْ كالأرْضِ ، وآنْداحَ آسْمُهـا
وغَدا أعْظَمَ مِنْها دَوَرانـا ! (١٤)

رَنَّ في الدُّنْيا صَداهُ ، وحَـلا
يُطْرِبُ الدُّنْيا ، على الدَّهْرِ ، جَنانا (١٥)

مِثْلَ سَجْعِ الطَّيْرِ في كُـلِّ فَمٍ
ومَذاقِ الشَّهْدِ قَدْ مَسَّ اللِّسانا

---

(١٢) المنصور : الخليفة العباسي ، عبدالله ، بن محمد ، بن علي ، بن العباس ، أبو جعفر ، المنصور : ثاني خلفاء بني العباس (٩٥-١٥٨ هـ) . ولي الخلافة بعد وفاة أخيه (السفاح) سنة ١٣٦ هـ وبنى مدينة (بغداد) . أمر بتخطيطها سنة ١٤٥ هـ ، وجعلها دار الملك بدلا من (الهاشمية) التي بناها (السفاح) .

(١٣) لمت : جمعت ، ولم الله تعالى شعثه : قارب بين شتيت أموره . ودارنا لمومة ، أي : تجمع الناس وتربهم . ـ الفجاج : جمع الفج ، بالفتح ، الطريق الواسع بين جبلين . ـ الرعان : جمع الرعن ، بالفتح والسكون ، وهو الجبل الطويل .

(١٤) دورت : اشارة الى هيأة بناء (بغداد) ، وقد بنيت مدورة . ـ انداح : عظم ، واسترسل .

(١٥) الجنان ، بالفتح : القلب .

أَسْمَعَتْ مَنْ لَمْ يَكُنْ ذا مِسْمَعٍ
وأعارَتْهُ لِساناً وبَياناً [16]

دانَ شَرْقُ الأَرْضِ بِالحُبِّ لَها
مِثْلَما المَغْرِبُ بالطّاعَةِ دانا [17]

رَحِمُ (الإسْلامِ) مِنْ أَوْشاجِها
عَطَفَتْ بَعْضاً على بَعْضٍ حَنانا [18]

* * *

(الحَضاراتُ) الّتي أَلْوَتْ بِها
غِيَرُ الأَيّامِ ، أَحْيَتْها عِيانا [19]

قَدْ تَلاقَيْنَ على باحاتِها ،
وتَمازَجْنَ انْصِهاراً وَافْتِنانا [20]

كانَتِ (الفُصْحَى) لَها أَوْعِيَةً
كَشَفِيفِ الضَّوْءِ زادَتْها افْتِتانا

رُبَّ لَوْنٍ ناصِلٍ ، عادَ بِها
مِنْ سَنا الإبْرِيزِ أَبْهَى لَمَعانا [21]

---

(16) المسمع ، بالكسر : الأذن .
(17) دان له : أطاعه .
(18) الأوشاج : الأرحام المتشابكة .
(19) الوت بها الغير : أهلكتها ، والغير ، بكسر الغين وفتح الياء : احداث الدهر المغيرة .
(20) الباحة : الساحة .
(21) نصل اللون : زال . ـ الابريز : الذهب الخالص .

وَعُلاً . . قَدْ كادَ يَعْرُوها البِـلَى ،

كَلأَتْها مِنْ عَـوادِيهِ صِيانـا (٢٢)

وعِصامِيٍّ . . كَسَتْـهُ مُعْلَمـاً

مِنْ بُرُودِ المَجْدِ مَوْشِيّاً حُسانا (٢٣)

ومَساعٍ حُـرَّةٍ مَهْـدِيَّـةٍ

في سَبِيلِ المَجْدِ ، أَوْلَتْها الضَّمانا

* * *

نَهَضَتْ زَهْراءَ شَمّاءَ الـذُّرا

كَمَنارِ اليَمِّ يَذْكُـو ومَضانا (٢٤)

حَفَلَتْ بالعِلْمِ والسَّيْفِ معـاً ،

فَغَدَتْ لِلْعِلْمِ والسَّيْفِ صِوانا (٢٥)

---

(٢٢) كلأتها : حرستها .

(٢٣) العصامي : من يبني مجده بنفسه ، ولا يتكل على موروثه فيكسل ويخمل . وضده العظامي . وفي المثل : « كن عصاميا ، ولا تكن عظاميا » يضرب في نباهة الرجل من غير قديم له . وقيل :

نفس عصام سودت عصاما وعلمته الكر والاقداما

وصيرته ملكا هماما

و (عصام) : قيل هو (ابن شهبر) ، حاجب النعمان بن المنذر ، ملك (الحيرة) بالعراق . تنظر قصته في (فرائد اللآل في مجمع الأمثال) : «ما وراءك ياعصام» ٢/٢٢٦ ، و «نفس عصام سودت عصاما» ٢/٢٩٦ . ــ برد معلم : به رسوم ورقوم . ــ موشي : منقوش ، ويكون الوشي من كل لون . ــ حسان ، بالضم : حسن .

(٢٤) اليم : البحر ، لا يكسر ، ولا يجمع جمع السالم . ــ ذكت النار : اشتد لهبها . ــ الومضان : مصدر ومض البرق يمض ومضا ووميضا وومضانا ، لمع خفيفا ، ولم يعترض في نواحي الغيم .

(٢٥) الصوان : ما يصان فيه .

قُـرِنا في قَـرَنٍ ، وٱسْتَحْصَـــدا :
صاحِبَ العِلْمُ لَدَيْها الصَّوْلَجانا (٢٦)

* * *

تَحْتَها (دِجْلَةُ) يَجْري ضاحِكــاً :
يَحْمِلُ الخِصْبَ ، ويَسْتَنْشِي الجِنانا (٢٧)
مُمْتِعاً مِنْ كُلِّ نُعْمَى غَضَّــــةٍ
بِالْبَواكيرِ رِطابــاً وسِمانا (٢٨)
أَلِقَ الأَوْضــاحِ ، لَمّاحَ السَّنَــــا
يَدْفُقُ البِشْرُ عليــهِ هَيَمانا
كَذَوِيها رِقَّةٌ رَقْــراقَــةٌ ،
ومِراحاً ، وٱنْشِراحاً ، وَحَنـــانا
مَنْ تَرَى رَقْرَقَ في صاحِبِــــهِ
خُلْقَهُ الأَزْهَرَ واللَّوْنَ الهِجانا ؟ (٢٩)

* * *

بِأَبِي (بَغْدادَ) ، بَلْ بِي . . وأنـــا
وأبِي ، قَلَّ لِـ (بغدادَ) فِدانـــا ! ! !

١/١٣٩٥ هـ

١/١٩٧٥ م

---

(٢٦) القرن : الحبل . ـ استحصد : اســتحكم . ـ الصولجان : المحجن ، جمعه صوالجة ، والمحجن والمحجنة : العصا المعوجة ، وكل معطوف معوج.
(٢٧) يستنشي ويستنشىء : يســتحدث . قــال أهل اللغــة : الاســتنشاء ، يهمز ولا يهمز ، وقيل : هو من الانشاء : الابتداء .
(٢٨) نعمى غضة : ناضرة . ـ البواكير : جمع الباكور ، وهــو المعجل الادراك من كل شيء ، وبهاء : الثمرة ، والنخلة التي تدرك أولا .
(٢٩) الهجان : الأبيض .

بغـداد .. على فم المـارد

« في ربيع سنة ١٣٧٣ هـ (آذار ١٩٥٤م) فاض (نهر دجلة) أعظم فيضـان شـهدته (بغداد) منذ خمسين سنة سلفن ، فأغـرق أرباض شرقي المدينة ، وصحبت طغيانه رياح عواصف شداد وأمطار هطالة متداركة دامت أياما وليالي ، وكادت « السدة » التي أقامها الوالي (ناظم باشا) ، يرحمه الله ، في أواخر العهد العثماني لحماية المدينة ، تتصدع مـن ذلك ، فتقتحم المياه الطاغية ماوراءهـا مـن العمران . وكانت ليلة ٢٨/٢٩ آذار اشـد الليالي الحرجة اللواتي أرقن العيون وأذهلن العقول .. فنفر الجيش ، والشرطة ، وطلاب الكليات من ذكور واناث ، الـى « السـدة » يحصنونها ، ويعلونها باذلين من الجهـد ومحتملين من الشقاء تحت المطر وعصـف الرياح ما لا طاقة بمثله لبشر ، حتـى اذن (الله تعالى) بكشف الغمة ، فسلمت (مدينة السلام) من النكبة الجائحة المدمرة »

يا (نُوحُ) ! قُمْ . . دارَتْ بِنا الأَزْمانُ

عُبِدَ الـهَوى ، وتَجَدَّدَ الطُّوفــانُ

قَدْ غِبْتَ عنهُ . فَأَيْنَ مِنْكَ سَفِينَةٌ

- يا (نُوحُ) - يَفْزَعُ نَحْوَها الإِنْسانُ؟

كانَتْ مَلاذَ اللاجِئينَ ، وما لَنَــا
- يا (نُوحُ)- ما يَنْجُو بِهِ الحَيْرا نُ (1)

قَدْ كُنْتَ أَحْزَمَ مِنْ « شُخُوصٍ » بَيْنَنا
زَعَمُوا الرُّقِيَّ ، وما دَرَوْهُ ، وما نُوا (2)

عَشِقُوا تَهاوِيلَ النُّعُوتِ ، ومالَهُــمْ
في الصّالِحاتِ ، إِذا ذُكِرْنَ ، مَكانُ (3)

هُمْ مِثْلُ قَوْمِكَ في الضَّلالِ ، وَإِنَّما
جَهِلُوا ، على عِلْمِ الزَّمانِ ، وهانُوا

* * *

مَنْ عاصِمٌ لِلْخَلْقِ مِنْ مُتَوَعِّـدٍ
جاشَتْ غَوارِبُهُ وَهُنَّ رِعــانُ ؟ (4)

البَــرُّ صارَ بِــهِ عُبابــاً ثائِــراً
كالشَّعْبِ حَرَّقَ غَيْظَهُ الطُّغْيانُ (5)

غَطَّى الأَدِيمَ ، فَلَيْسَ إِلّا مــاؤُهُ
أَرَأَيْتَ بَحْراً، ما لَهُ شُطْــآنُ ؟ (6)

---

(1) الملاذ : الملجأ .
(2) مان يمين ميناً : كذب .
(3) تهاويل النعوت : ماهول به من الأوصاف ، كالقاب : « صاحب الجلالة » و « صاحب الفخامة » و « صاحب المعالي » .
(4) جاشت غواربه : هاجت أعالي أمواجه . ــ الرعان : جمع الرعن ، وهو انف الجبل الشاخص البارز .
(5) العباب : ارتفاع الموج واصطخابه .
(6) اديم الأرض : وجهها .

فإذا سجا ، خرَق القلوبَ تفزُّعاً
وإذا تحرّكَ ، زاغتِ الأذهانُ ! (٧)

غرثانُ ، وهوَ يكادُ يبتلعُ الدُّنى
وكأنّما أمواجُهُ الحيتانُ (٨)

هوَ والسَّماءُ ، كلاهُما متغضِّبٌ
متفجِّرٌ ، وكلاهُما هتّانُ (٩)

باتا على وعدٍ ، وكلٌّ موعِدٌ
ولهُ وراءَ وعيدِهِ حدَثانُ (١٠)

والنَّوْءُ يأتي بالصَّواعقِ منذِراً
ومعَ الصَّواعقِ مارجٌ ودُخانُ (١١)

وكأنَّما (بغْدادُ) في أثباجِهِ
فُلكٌ ، ولكِنْ مالهُ رُبّانُ (١٢)

قامتْ على فمِ ماردٍ متلمِّظٍ
أرأيتَ كيفَ تلمَّظَ الثُّعْبانُ ؟ (١٣)

---

(٧) سجا : هدأ وسكن .
(٨) غرثان : جوعان . ــ الدنى : جمع الدنيا .
(٩) هتان : صباب ، متتابع المطر .
(١٠) موعد : مهدد .
(١١) النوء : المطر والريح . ــ المارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد ، أو هو اللهب المختلط بسواد النار .
(١٢) الأثباج : جمع الثبج ، وهو وسط الشيء تجمع وبرز . ــ الفلك : السفينة . ــ الربان : قائد السفينة .
(١٣) متلمظ : متمطق ، ومخرج لسانه كالحية . ــ الثعبان : ذكر الحيات .

إنْشَقَّ قُمقُمُهُ ، فَهامَ على الثَّــرَى
وبِهِ على سَجّانِهِ غَلَيَـــانُ ! (١٤)

لَوْلا العِنايَةُ لاحَظَتْ رُحَماءَهــا
لم يَبْقَ آناسٌ ولا عُمْـــرانُ

ولَقِيلَ : كانَ هُنا ، زَماناً قَبْلَنا ،
مُلْكٌ ، وناسٌ مِثْلُنا .. قَـد كانُوا !

* * *

قَدَّسْتُ بِرَّ المُحْسِنِينَ وَجَهْدَهُــمْ
وقَوامُ هـاذا العالَمِ الإحْسانُ !

وَذَكَرْتُ مَأْسَدَةً ، كَأَنَّ لُيُوثَهــا
في « السَّدِّ » مِمّا رَبَّهُ (خَفّانُ) : (١٥)

* * *

للهِ دَرُّ (الجَيْشِ) مِنْ مُتَحَمِّسٍ
قامَتْ على إخْلاصِهِ الأَوْطــانُ !

نَضَدَ التُّلُولَ على التُّلُولِ مُجالِـداً
للهِ .. ! ماذا تَفْعَلُ الشُّجْعــانُ ؟ ! (١٦)

---

(١٤) هام : خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يذهب .
(١٥) المأسدة : المكان الذي تكثر فيه الأسود . ـ السد : هو سد ناظم باشـا من ولاة الدولة العثمانية في أواخر أيامها في العراق ، أحاط بغـداد الشرقية به لحمايتها من الغرق . ويقال له باللغة الدارجة « السـدة » . ـ خفان : المشهور انه اجمة في سواد الكوفة ، وكان فيها مأسدة ، ولا تعرف الآن .
(١٦) نضد الشيء : ضـم بعضـه الـى بعض متسقـا . ـ المجالد : المضارب بالسيوف .

صانَتْهُ عَيْنُ (اللهِ) . . . لَمْ يَهْدَأْ لَــهُ
بالٌ ، ولَمْ تُغْمِضْ لَهُ أَجْفـانُ
يا كالِئَ الأَوْطانِ في أَزَماتِهـا :
هَلْ يَنْقَضِي منها لَكَ الشُّكْرانُ ؟ (١٧)
وَقَفَتْ وَراءَكَ ، والحَياةُ تَعـاوُنٌ ،
والنَّاسُ في تَبِعاتِهـا إِخْـوانُ !
كُلٌ يُقَدِّمُ قِسْطَهُ مِنْ جَهْـدِهِ
ضَلَّ المُقَصِّرُ ، واهْتَدَى المِعْوانُ !

* * *

حَيِّ (الشَّبابَ) المُرْخِصِينَ نُفُوسَهُمْ ،
ونُفُوسُهُمْ تَغْلَى بِها الأَثْمـانُ
المانِعِينَ إِذِ البَلِيَّـةُ أَحْدَقَـتْ
والحافِظِينَ ولَيْسَ ثَمَّ أَمـانُ
قامُوا وَراءَ عَرِينِهِمْ يَحْمُونَــهُ
فِعْلَ الضَّياغِمِ هاجَها العُـدْوانُ (١٨)
تَحْدُوهُمُ النَّخَواتُ .. لَمْ يَعْصِفْ بِهِمْ
جُبْنٌ ، ولا أَلْوَى بِهِمْ سُلْوانُ (١٩)

* * *

واخْصُصْ (كَواعِبَ) كالأَزاهِرِ نَضْرَةً
نُوراً حَرائِرَ ، حَلْيُها العِرْفانُ (٢٠)

---

(١٧) الكالىء : الحارس .
(١٨) العرين : مأوى الأسد . ـ الضياغم : الأسود .
(١٩) ألوى به : أماله . ـ السلوان : النسيان ، عنى نسيان الواجب .
(٢٠) كواعب : شواب نواهد الثدي ، بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد اليـاء .
ـ نور : نوافر من الريب ، الواحدة نوار .

غالَبْنَ كاللَّبُوات ِ ما اَجْتاحَ القُـــرَى
والمُدْنَ ، واَسْتَعْلى لَهُ سُلْطانُ (٢١)
وَفَدَيْنَ بِالمُهَجِ الغَوالي مَوْطِنـــاً
كَرُمَتْ لَهُنَّ بِظِلِّهِ الأَزْمانُ (٢٢)

* * *

بِاللهِ . . لا تَصِمُوا الشُّبُولَ بِوَصْمَـــةٍ ،
هُمْ عُدَّةٌ ، وذَخِيرَةٌ ، وحَنـــانُ (٢٣)
أكْبادُنا ، صانَ (الإلهُ) حَياتَهُمْ ،
لِقُلُوبِنا بِوِدادِهِمْ خَفَقـــانُ
قامَتْ شَواهِدُهُمْ على إِخْلاصِهِمْ
كَالصُّبْحِ قامَ بِنُورِهِ الإعْـــلانُ

* — *

(٢١) اللبوات : اناث الاسود .
(٢٢) المهج : الأرواح .
(٢٣) وصمه : عابه . ــ الشبول : جمع الشبل ، وهو ولد الأسد ، ويستعمل مجازا في الابناء الشجعان .

جمال الطبيعة في الريف العراقي

تَمَلَّ مِنَ الحُسْنِ في الضَّاحِيَه
وَحَيَّ بِها العيشَةَ الهانِيَه [1]
مَتاعُ الحَياةِ ، وَرَيْحانُها ،
ومَبْدَى مَباهِجِها الزَّاهِيَه [2]
هُدُوٌّ كما يَبْتَغِي المُتْعَبُونَ
سُجُوٌّ على اليَقْظَةِ البادِيَه [3]
يَدُ (اللهِ) ، قد بارَكَتْ أَرْضَها
ووَشَّتْ خَمائِلَها الحالِيَه
وأَلْقَتْ مِنَ السِّحْرِ في حُسْنِها
أَرَقَّ مِنَ السِّحْرِ في الجازِيَه [4]
أَصِيلُ المَلامِحِ ، لا لَوْنُهُ الـ
ـدِّهانُ ، ولا طِيبُهُ الغالِيَه [5]

---

(١) تمل : تمتع . يقال : ملاك الله حبيبك تملية : أي : متعك به ، وأعاشك معه طويلا .
(٢) المبدى : المظهر .
(٣) السجو : السكون . ـ الهدو : الهدوء ، سهلت همزته وشدد ، ليجانس لفظ « سجو » .
(٤) الجازية : الجازئة ، وهي الظبية .
(٥) الغالية : أخلاط من الطيب .

ولاكنّهُ وَشْيُ خلاقِه ،
ورَوْحُ رياحينِه الذّاكيَه (٦)
صفا مِنْ خِداعٍ ومِنْ صَنْعَةٍ
فَشَتْ لَهُما في الدُّنَى فاشيَه
وَصَفّى مِنَ الخَبَثِ الوالِدينَ
وزَكّى الشّمائِلَ في النّاشيَه (٧)
ومَنْ يألَفِ الحُسْنَ يَكْسِبْ حِلاهُ
ويَنْعَمْ بأَوْصافِه العاليَه !

* * *

أُفَدّي بِساعَتِها نُزْهَةً
مِنَ الدّهْرِ في المُدْنِ الرّاغيَه (٨)
فما العَيْشُ حَيْثُ اصْطِخابُ الهُمُومِ
بعَيْشٍ يَطيبُ لأمْثاليَه
بِقاعٌ . نَعِمْنَ بِسِحْرِ الفُتُونِ ،
وَطافَتْ بِها العيشَةُ الرّاضيَه
بِنَفْسي (مَسارِحَها) النّاضِراتِ
وَأَفْوافَ سُنْدُسِها الزّاكيَه (٩)

---

(٦) الروح : نسيم الريح . ــ الذاكية : الطيبة .
(٧) الناشية : الناشئة .
(٨) الراغية : هي التي لها صخب من كثرة الناس كرغاء الابل .
(٩) الأفواف : ثياب رقاق موشاة . ــ السندس : رقيق الديباج ورفيعه . ــ الزاكية : المنعمة في الخصب .

قَدِ انْتَشَرَتْ ، فَوْقَ أرْباضِهـا
بِشَتَّى تَلاوينِها ، الماشِيَه (١٠)
تَنَزَّى هُنـا أوْ هُنـا مِنْ رَواء
وَتَبْغَمُ مِنْ شِبَعٍ ثاغِيَه (١١)
وَقَدْ رَجَعَتْ لِلْمَراحِ الأَصيلَ
بِتَرْجيعِ والِهَةٍ حانِيَه (١٢)
وماجَ بها الرَّبْعُ ناساً بِناسٍ ،
وذالِكَ داعٍ ، وَذي ناهِيَه (١٣)
وراعٍ .. بِشَبّابَةٍ زامِرٌ ،
وَآخَرُ يَنْعَقُ بالقاصِيَه (١٤)
وهاتيكَ . تُرْضِعُ أطْفالَهـا ،
وَهاتيكَ . تَحْلُبُها الرّاعِيَه
وَتُبْصِرُ ثَمَّ الصَّبايا المِلاحَ
يَرِدْنَ مَشارِعَها الصّافِيَه (١٥)

---

(١٠) الأرباض : الضواحي ، وما حول المدن ، واحدها ربض ، بفتحتين .
(١١) تنزى : تتنزى ، حذفت تاء المضارع منه تخفيفا ، أي : تتوثب . ـ الرواء بالفتح : الماء العذب ، والكثير المروي . ـ تبغم : تصوت بالين صوت وارقه . ـ ثاغية : صائحة ، والثغاء خاص بالشياه .
(١٢) المراح : الموضع الذي يراح منه ، او يراح اليه . ـ الأصيل ، بالنصب على نزع الخافض ، وهو الوقت حين تصفر الشمس لمغربها . ـ والهة : حانة الى ولدها .
(١٣) الربع : المنزل .
(١٤) الشبابة : قصبة الزمر « مولدة » . ـ القاصية : البعيدة المنقطعة عن السرب .
(١٥) المشارع : موارد الماء .

يَسِرْنَ العِرَضْنَةَ تَحْتَ الْجِرارِ

ضَواحِكَ رائِحَةً غادِيَهْ ، (١٦)

وثَمَّ مَضارِبَ (*) مَنْثُورَةً

فُرادَى ، بِأَصْحابِها نائِيَهْ

على ناعِمٍ مِنْ طَلِيلِ النَّباتِ

تَوَسَّدُ أَبْرادَهُ الضّافِيَهْ (١٧)

يُفِيءُ عليها الأَصيلُ الظِّلالَ

تُمازِجُها حُمْرَةٌ قانِيَهْ (١٨)

وَمِنْ حَوْلِها في الأَواخِي المِهارُ

تَصاهَلُ مِنْ مَرَحٍ لاهِيَهْ ، (١٩)

وناراً (*) تُشَبُّ وَيَعْلُو لَها

دُخانٌ وَراءَ اللَّظَى الوارِيَهْ (٢٠)

إِلى أَنْ تَغِيبَ وَراءَ النَّخِيلِ

(ذُكاءُ) ، وتُسْتَقْبَلَ الدّاجِيَهْ (٢١)

---

(١٦) العرضنة : الاعتراض في السير من النشاط .
(*) معطوفة على « الصبايا الملاح » في قوله السابق : « وتبصر .. » البيت .
(١٧) طليل : مطلول ، مندّى بالطل ، وهو الندى الذي ينزل في آخر الليل .
(١٨) الأصيل : الوقت حين تصفر الشمس لمغربها . ـ قانية : قانئة ، شديدة الحمرة .
(١٩) الأواخي : العرا تثبت في الأرض أو الجدار ، وتربط بها الدابة . ـ المهار : جمع المهر ، وهو أول ما ينتج من الخيل . ـ تصاهل : تتصاهل ، أي تتصايح . ـ المرح : النشاط .
(*) معطوفة على : « وثم مضارب .. » البيت .
(٢٠) الوارية : المتقدة .
(٢١) ذكاء : الشمس . الداجية الظلمة .

هُنالِكَ تعْمُرُ بالسامرينَ

مَجالِسُها السَّمْحَةُ الهادِئَهْ

وأَحْبِبْ بإيناسِ لَيْلاتِها

إذا أقْمَرَتْ ، ولَهَا الرّاوِيَهْ ! (٢٢)

وهَبَّتْ نَواسِمُها الطَّيِّباتُ

تَنُثُّ طَراءتَها النّادِيَهْ (٢٣)

وَصَبَّ على النّايِ ذُو لَوْعَةٍ

وحُبِّ هَوَى نَفْسِهِ الصّابِيَهْ

وهَبَّتْ تُصَفِّقُ أترابُهُ

بإيقاعِ أنْغامِهِ الشّاجِيَهْ (٢٤)

مَلِلْتُ غِناءَ شَبيهَ النُّهاقِ

ثَقيلاً على الأذُنِ الواعِيَهْ

أحِسُّ لَهُ مِثْلَ وَقْعِ الصُّخُورِ

وتُصْبِحُ نَفْسِي بِهِ غاثِيَهْ (٢٥)

وأحْبَبْتُ ما كانَ عَفْوَ الطِّباعِ

كما يُرْسِلُ الشّاعِرُ القافِيَهْ ،

---

(٢٢) الرواية : القاص الذي يحكي الأخبار والأشعار والأسمار، وذالك هو لهوه.

(٢٣) الناي : من آلات الزمر ، ويسمى القصب ايضا . ـ الصبوة : الميل الى اللهو والغزل .

(٤) الاتراب : المماثلون في السن ، واحدها ترب ، بكسر وسكون .

(٢٥) غاثية : جائشة متهيئة للقيء من سوء ما تسمع من الأصوات المنكرة .

وكانت نِنَغْمَتِه لَذَّةٌ ،
وكانَتْ أرا نِينُه شافِيَه (٢٦)

وَتَسْحَرُني صَدَحاتُ الدُّيُوكِ
بِأسْحارِها تَمْلأُ الضَّاحِيَه (٢٧)

يَصيحُ بِناحِيَةٍ زامِرٌ ،
فَيَتْلُوهُ آخَرُ في ناحِيَه

كَأَنَّ لَها مَوْعِداً في الصَّباحِ
فَهَبَّتْ بِأَلْحانِها شادِيَه ،

لِتَسْتَقْبِلَ الفجْرَ في مَوْكِبٍ
فُتُوناً بِأَوْضاحِهِ الباهِيَه (٢٨)

* * *

ولَيْسَ كأَسْحارِها في الْجَمالِ
على (دِجْلَةٍ) ، والدُّنَى ساجِيه (٢٩)

بِحَيْثُ التَّنَزُّهُ في شَطِّها
حَبيبٌ إلى نَفْسِيَ الصَّادِيَه (٣٠)

ولِي حَيْثُما أَنْتَحي وَقْفَةٌ
ونَفْسِيَ نَشْوانَةٌ صاحِيَه (٣١)

---

(٢٦) الارانين : الأصوات الرقيقة ذوات الرنين .
(٢٧) الأسحار : جمع السحر ، وهوآخر الليل قبل الفجر .
(٢٨) اوضاحه : اضواؤه . ـ الباهية : الرائعة الجمال .
(٢٩) الدنى : جمع الدنيا . ـ ساجية : هادئة ساكنة .
(٣٠) الشط : الشاطىء . ـ الصادية : العطشى الى مشاهد الحسن .
(٣١) انتحى : اقصد .

أُصيغُ إلى نأَماتِ «الوُجُــــودِ»
وأَجلُو سَرائِرَهُ الخافِيَــــــهْ [٣٢]
وتَنْتَهِبُ الحُسْنَ عَيْنِي السَّـــرُوقُ
ولاكِنَّهـــا لَمْ تَـــزَلْ ظامِيَهْ [٣٣]

• • •

سَلامٌ على (دِجْلَةِ) في البُكُـــورِ
وإِنْ آنسَـــتْ كُــلُّ أَوْقاتِيَـــهْ
عــلى النَّسَماتِ العِـذابِ الرِّطـــا
بِ ، يَسِرْنَ بِأَنْفاسِ أَحْبابِيَـــهْ
على لُطْفِهـــا ، وعلى سِحْرِهــــا
إِذِ الشَّمْسُ في خِدْرِهــا خافِيَـهْ
وَقَدْ بَسَمَتْ وَهْيَ في نَوْمِهــــا
فَرَفَّ لها الرَّوْضُ والسَّاقِيَـــــهْ
كَأَنَّ نُشــــارَةَ أَضْوائِهــــــا
ثُغُــورُ الخَرائِدِ في الدّاجِيَهْ [٣٤]
تَرَى الأُفْقَ مِنْ حُسْنِهــا مِثْلَمـا
تَعَرَّتْ لِتَبْتَــرِدَ الغانِيَــــهْ [٣٥]

---

(٣٢) النأمة : الصوت الضعيف الخفي .
(٣٣) الظامية : الظامئة ، وهي العطشى .
(٣٤) الخرائد ، الأبكار لم يمسسن ، والشديدات الحياء .
(٣٥) تبترد : تغتسل بالماء البارد . ـ الغانيـة : الحسناء غنيت بحسنها عن الزينة .

صفَا من بَياضِ تَباشيرِها
أديماً ، ورَفَّتْ بهِ الحاشيَهْ
كَمِثلِ الضَّميرِ صفا مِنْ أذاةٍ
ونُقِّيَ مِنْ كُدْرَةٍ غاشيَهْ
وَقدْ لَمعَتْ (دِجْلَةٌ) تَحْتَهُ
كما لمعَتْ فِضَّةٌ آنيَهْ . (٣٦)
جلَتْ وَجْهَها غادِياتُ النَّسيمِ
كما صَقلَتْ خدَّها الغاوِيَهْ
يُدَغْدِغُها مَسُّ تَقْبيلِها ،
فتَأْخُذُها رَعْشَةٌ رابِيَهْ (٣٧)
تَحِفُّ بِها ثَمَّ بِيضُ القُصُورِ
غَوارِقَ في الخُضْرَةِ الكاسِيَهْ

* * *

نَخيلٌ .. تُظَلِّلُ أَفْياؤُها
جَنِيَّ الفَواكِهِ والدّالِيَهْ
إذا لامَسَتْها أَكُفُّ النَّسيمِ
بَعَثْنَ إلَيْكَ شَذا الفاغِيَهْ (٣٨)

---

(٣٦) الآنية : جمع الاناء .
(٣٧) رابية : زائدة نامية .
(٣٨) الفاغية : نور « زهر » كل نبت ذي رائحة طيبة . ـ شذاها : رائحتها الذكية .

ومـــا ضَرَّ مَـــنْ شَرِبَ المُسْكِـــراتِ
إذا شَمَّهـــا وجَفـــا الخابِيَهْ (٣٩) ؟
عليها السَّواجِـــعُ والهاتِفـــــــاتُ
تُراقِصُ أعْطافَهـــا الرّاوِيَهْ (٤٠)
عـــلى لَغَـــطٍ دائِـــبٍ يُسْتَحَـــبُّ
وتَهْفُـــو لَهُ الأنْفُسُ العانِيَهْ (٤١)
يَرُوقُ على نَغَمـــاتِ الْخَرِيـــــرِ
تَصِلُّ السَّواقِي بِهِ الْجارِيَهْ (٤٢)
تَطايَرُ مِنْ فَـــرَحٍ بالصَّبـــــــــاحِ
وتَسْمَعُ هاذي لِذي لاغِيَـــــــهْ
بِمُخْتَلِفٍ مِنْ لُحُونِ السُّـــرُورِ
وَمِنْ قَرْقَرِيرٍ بِـــهِ هاذِيَهْ (٤٣)
تَفَتَّحَ خافِقُهـــــا لِلْجَمـــــالِ
فلازَمَتِ الدَّوْحَ والسّاقِيَـــــهْ (٤٤)
سباها السَّنـــا والشَّـــذا والنَّـــدَى
فَما فَتِئَتْ جَذَلاً شادِيَـــــهْ (٤٥)

---

(٣٩) الخابية : وعاء الخمر .
(٤٠) الأعطاف : الجوانب ، واحدها عطف ، بالكسر والسكون .
(٤١) اللغط : الاصوات المختلفة المبهمة . ـ تهفو : تطرب . ـ العانية : المتعبة.
(٤٢) تصل : تصوت أصواتا ذوات رنين .
(٤٣) القرقرير : هدير الطيور .
(٤٤) خافقها : قلبها . ـ الدوح : الاشجار العظام ذوات الفروع الممتدة .
(٤٥) الجذل : الفرح . ـ الشادية : المترنمة .

* * *

تَمَـــلَّ .. فَفِي ناظِرَيْكَ الْجَمَـــالُ ،

وفي نَفْسِكَ الحُـــبُّ والعافِيَـــهْ :

مَناظِرُ شِبْـــــهُ الرُّؤَى فاتِنـــاتٌ

سَواحِرُ خالِبَـــــةٌ سا بِيَـــــهْ (٤٦)

تُجَدِّدُ لِلْعَيْنِ مِثْـــلَ الطُّيُـــوفِ

وَأَلْـــوانِ أَشْكالِهـــا السّارِيَهْ

تَأَزَّرَ بِالحُسْـــنِ عُرْيانُهــــــا

كَحَسْنــــاءَ كاسِيَـــةٍ عارِيَـــهْ !

* * *

وَإِنِّي وَلُوعٌ بِزاهِي الْجَمَـــــالِ

ومَعْناهُ في الصُّـــوَرِ الرّاقِيَـــــهْ

رَأَيْتُ كَثِيراً ، ومـــا شاقَنِـــــي

كَمَعْنَى الْجَمَـــالِ بِأَوْطانِيَـــهْ !

٧/١٩٥٢ م

---

(٤٦) خالبة : فاتنة . ـ سابية : اسرة .

دمشـــق

« أنشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه علامة الشام رئيس المجمع العلمي العـــربي الأستاذ محمد كرد علي عند حلوله بدمشـق في آب ١٩٣٧ »

مَنْ عَذِيرٌ مِنَ الهوَى وَمُجيرُ ؟
فَضَحَ الشَّوْقُ ما أَجَنَّ الضَّميـــرُ (١)

أنا في قَبْضَـــةِ الْجَمالِ : فَخَـــوْدٌ
تَسْتَـبيني ، ورَوْضَةٌ ، وغَدِيـــرُ (٢)

* * *

هاذِهِ « جِلَّقٌ » . . تَبـــارَكَ رَبِّي !
« بَلَدٌ طَيِّـبٌ ، ورَبٌّ غَفُـــورُ » (٣)

الهَوَى ، والهَواءُ ، والجَدْوَلُ الرَّقْــــ
راقُ ، والرَّوْضُ ، والسَّنا ، والحُورُ

حَيْثُما تَغْتَـــدِ ، فَرَوْضٌ أَرِيضٌ
عَنْبَرِيُّ الشَّذا ، وماءٌ نَميـــرُ (٤)

---

(١) العذير : العاذر . ـ أجن : أخفى .

(٢) الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق « بفتح الخاء » . ـ تستبيني : تأسرني بجمالها .

(٣) جلق : من أسماء دمشق .

(٤) أريض : كثير النبت حسن المرأى . ـ ماء نمير : طيب ناجع في الري

وظِلالٌ مَمْدُودَةٌ وَهْيَ تَنْـــدَى ،
وشُعَـــاعٌ يَرِفُّ وَهْـــوَ مُنِيـــرُ
مِنْ سَنَا الشَّمْسِ فَوْقَهَـــا ، ومِنَ الزَّهْـ
ـرِ . . دَنَانِيـــرُ عَسْجَـــدٍ ، وعَبِيرُ
يُقْتَلُ القَيْـــظُ في ذَرَاها ، ولاكِـــنْ
في ذَرَاها يَحْيَا الهَوَى ويَسُـــــورُ (٥)
جِئْتُ آوِي مِنَ الحَرُورِ إِليهَـــــا
فَإِذَا في الحَشَا يَشِبُّ الحَـــرُورُ (٦) !
أنا . . مِنْها ، ومِنْ مَهَاهَـــا اللَّـــوَاتي
يَتَقَتَّلْنَ رِقَّـــةً ، مَسْحُورُ (٧)
كُلُّ بَيْضاءَ في لَوَاحِـــظَ سُـــودٍ
رَفَّ في خَـدِّهَـــا الدَّمُ المُسْتَحِيرُ (٨)
في قَوَامٍ لَدْنِ المَجَسَّـــةِ رَيَّـــا
نَ ، وخَصْرٍ مِنَ الضَّنَى يَسْتَجِيرُ (٩)
وَصِباً ناضِرِ الشَّبَـــابِ . . غَـــذاهُ
تَرَفُ العَيْشِ ، والنَّعِيمُ الوَثِيـــرُ
وَأَدِيمٍ مُنَعَّـــمٍ في حَبِيـــــرٍ
يُوهِمُ العَيْنَ ماؤُهُ والحَبِيـــرُ (١٠)

---

(٥) الذرا ، بفتح الذال : الكنف ، والظل . ـ يسور : يشب ويثور .
(٦) الحرور : حر الشمس .
(٧) يتقتلن : يتثنين في مشيهن ، ويتكسرن من الرقة والدلال .
(٨) المستحير : الدائر في الوجنات .
(٩) اللدن : اللين . ـ المجسة : موضع الجس .
(١٠) الحبير : الثوب الناعم الموشى .

لمَعًا . كالسَّرابِ شَفَّ ، فــلا تَدْ ــ
رِي : أَمــاءٌ لأْلاؤُهُ ، أَمْ نـــُـورُ ؟ (١١)

تَنفُثُ السِّحْرَ في الخَلِيِّ فيَشْجَــــى ،
وتُثِيرُ الهــوَى بهِ فيَثُـــور (١٢)

ولَقَدْ زانَها النُّفُورُ ، وحُسْـــنُ الـــ
حُسْنِ في الغادَةِ العَرُوبِ النُّفُورُ ! (١٣)

كَرَّمَ (اللهُ) وَجْهَ كُلِّ نَـــوارٍ
صانَها الطُّهْرُ والحَياءُ الوَقُـــورُ (١٤)

لِيَ مِنْ هَيكَــلِ الجَمــالِ المَعانِي ،
يَجْتَلِيهـــا قَلْبِي ويَذْكُو الشُّعُورُ

* * *

(وَطَنُ العُرْبِ) ، جَنَّةٌ . . و (دِمَشْقٌ)
رَفْرَفٌ أَقْدَسُ المَطافِ طَهُــورُ (١٥)

شَرِقَتْ بِالرُّؤَى مَسارِحُها الخُضْــ
رُ ، وَرَوَّى نَعِيمَهُنَّ السُّـــرُورُ (١٦)

---

(١١) السراب : ما يرى في نصف النهار كالماء في الصحارى . ــ شف : رق حتى يرى ما خلفه .
(١٢) الخلي : الخالي البال من الهم .
(١٣) العروب : المتحببة الى زوجها ، النفور من غيره .
(١٤) النوار : النفور من الريبة .
(١٥) الرفرف : البساط .
(١٦) شرقت : امتلأت .

* * *

رُبَّ نادٍ ، تَخِذْتُـهُ في الرَّوابـــي
أَقْرَأُ الحُسْنَ مِنْهُ وَهْوَ سُطُـورُ
فَعَلى (الغُوطَتَيْنِ) والشَّمْسُ تَبْدُو
وَعَلى (النَّيْرَبَيْنِ) وَهْيَ تَغُـورُ (١٧)
فـإذا (جِلِّقٌ) رِياضـــاً ودُوراً
كالمصابيحِ حَفَّهـا الدَّيْجُـورُ (١٨)
عالَمٌ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، طافَ بالـدُّرْ
رِ ، وأَذْكـاهُ بالـرُّواءِ النُّـورُ
ساحِرُ المُجْتَلى . . أَطَلَّ عَلَيْــهِ
(قاسِيُونٌ) ، كَأَنَّــهُ مَذْعُـورُ (١٩)
يَغْرَقُ الحِسُّ في سَناهُ ، وَيَفْنَــى
في تَهاويلِ سِحْرِهِ التَّفْكيـرُ

* * *

أنا إنْ أَنْسَ لَسْتُ أَنْسَـى لَيالِيَّ —
إِذِ البَـدْرُ ضاحِـكٌ والثُّغُورُ

---

(١٧) الغوطتان : غوطتا دمشق ، الغوطة الشرقية والغوطة الغربية . ولا يقال الآن في دمشق الا « الغوطة » . وهي احدى متنزهات الدنيا الأربعة المشهورة قديما في الشرق : غوطة دمشق ، ونهر الأبلة في البصرة ، وصغد سمرقند فيما وراء النهر ، وشعب بوان في فارس . و (النيربان) : موضعان في صالحية دمشق ، من أنزه الاماكن ، كانت بهما مساكن الرؤساء والأعيان .

(١٨) الديجور : الظلمة .

(١٩) قاسيون : جبل دمشق ، يحد الغوطة من شمالها .

وكأنّ الأكوانَ في دافقِ النـو —
رِ بحورٌ قد أغرقتها بحورُ!

يمرحُ القلبُ في سناها، كما يمـ
ـرحُ في الماءِ سابحاً عصفورُ!

قد تفرّدْنَ بالصباحةِ، لولا
وجناتٌ نازعْنَها ونحورُ!

* * *

حبّذا (الشامُ) ماؤها وهواها
ومساري أنهارِها، والقصورُ،

وميادينُ حسنِها وهي شتّى،
ومغاني اللذّات وهي كثيرُ

جادها الغيثُ من معاهدَ.. لا اللطـ
ـفُ عداها، ولا النعيمُ الحبيرُ[20]

محسناتُ الأوقاتِ، حتّى ضحاها
وشّحتْهُ بلطفهنّ البكورُ

وبنفسي خريرَ (أنهارِها السبـ
ـعةِ) دوّامةً عليها الطيورُ[21]

تتلوّى كالأينِ ريعَ، وتهتز —
زُ ارتعاشاً، وترتمي، وتمورُ[22]

---

(٢٠) الحبير: الثوب الناعم الموشي.
(٢١) دوامة: محلقة في الهواء.
(٢٢) الأين: الحية.. ـ ريع: أفزع. ـ تمور: تضطرب وتموج.

وَهْيَ آناً في السَّهْلِ تَعْدُو ، وآنـاً
في الرَّوابِي المُسْتَنْسَلاتِ تُغِيرُ
تَغْمُرُ (الغُوطَتَيْنِ) بِشْراً وزَهْواً
مِثْلَما يَغْمُرُ النُّفُوسَ الحُبُورُ
وَعلى صَوْتِها الطُّيُورُ تَغَنَّى
وَلَقَدْ يُطْرِبُ الطُّيُورَ الْخَرِيرُ
عَشِقَتْ لَحْنَهُ ، وَلِلْماءِ لَحْنٌ
يُسْكِرُ السَّمْعَ جَرْسُهُ المَخْمُورُ (٢٣)
حَيْثُ تَغْدُو ، يُلْهِيكَ مِنْها سَماعٌ
وَمِنَ الرَّوْضِ مُؤْنِقٌ مَنْضُورُ (٢٤)
عُرُسٌ . . قامَ لِلطَّبِيعَةِ فِيها
يَسْتَخِفُّ الإِنْسانَ وَهْوَ وَقُورُ
تَهْزِجُ الطَّيْرُ والأَناسِيُّ فِيهِ ،
ويَمُورُ السَّنا ، ويَذْكُو العَبِيرُ

* * *

قِفْ تَمَتَّعْ مِمّا تَراهُ قَلِيلاً ،
وقَلِيلٌ مِمّا تَراهُ كَثِيرُ !
لِلأُنُوفِ الشَّذا أَرِيجاً ، وَلِلسَّمْـ
ـعِ الأَغانِي ، وَلِلّحاظِ البُدُورُ !

---

(٢٣) جرسه : صوته الخفي .
(٢٤) مؤنق : معجب رائع الحسن . ـ منضور : محسن ومنعم .

دمشق .. جمال وتاريخ

أَبِكَ ٱرْتَوَى وَٱخْضَلَّ وَٱبْتَـــــرَدا
هــاذا الْجَمالُ الْغَضُّ ، يا (بَرَدَى) ؟[1]

شَغَفَ الفُؤادَ سَنــاً وَأَسْكَــرَهُ ،
فَٱنْسابَ في مَرْآهُ وَٱتَّحَــدا .

يا دِينَ قَلْبِيَ ، والهَوَى قَدَرٌ !
قَلْبِي أَحَبَّ ، وناظِرِي رَصَــدا[2] !

هاذا مَطَافُ الحُسْنِ ، مُقْتَـــرِبٌ
مِنِّي ، وَحِسِّي فِيهِ قَدْ بَعُــدا !

و (دِمَشْقُ) خَضْراءُ مُنَــوَّرَةٌ
فَيْحاءُ ، نافِحَــةُ الشَّذا أَبَــدا

نَفَسُ العَــذارَى ، ما تُناسِمُــهُ .
أَشَمَمْتَ أَطْيَبَ مِنْهُ إِنْ مَأَدا ؟[3]

وَخَمائِلٌ رَيَّا ، ٱنْتَشَتْ ، وَزَهَــتْ
بَهَجاً ، وَرَفَّ نَعِيمُها غَيَــدا[4]

---

(١) اخضل : ابتــل ، وعيش مخضل : ناعم . ــ ابترد الماء : شرب الماء ليبرد كبده ، ومنه قول الشاعر :

اذا وجـدت اوار الحـب في كبـدي
اقبلـت نحـو سـقاء القـوم أبتـرد

الغض : الطري الناضر . ــ بردى : نهر دمشق .

(٢) يادين قلبي من حبها : معناه ياداء قلبي القديم من حبها .

(٣) مــاد : اهتــز .

(٤) البهج : الفرح والسرور . ــ الغيد : لين الأعطاف والتثني .

وأطايبٌ ، يُعْطيكَ لَيِّنُها
نُعْمَى الحياةِ هَنِيئةً رَغَدا
وكَأنَّما (بَرَدَى) بِسَلْسَلِه
عَسَلٌ وصَهْباءُ قدِ ابْتَرَدا (٥)
وَ (الرَّبْوَتانِ) – وَإنَّ حُسْنَهُما
ما بانَ عَنْ عيني ، وإنْ شَرَدا – (٦)
بابٌ الى (الفِرْدَوْسِ) ، تَحْتَهُما
(رِضْوانُ) شَدَّدَ حَوْلَهُ الرَّصَدا : (٧)

* * *

(الغُوطَتانِ) رُؤًى وأخْيِلَةٌ
ونَعيمُ دُنْيا مِنْ سَدًى ونَدَى (٨)
جَمَعَ الجَمالُ لَدَى فَوارِدِها
ما كانَ مِنْ أنْواعِهِ بَدَدا
ضَحِكَتْ وُجُوهُ فُتُونِها ، وَبَدَتْ
والحُسْنُ فَوْقَ أديمِها سَجَدا

---

(٥) السلسل : الماء العذب . ـ الصهباء : الخمر .
(٦) بان : انفصل . ـ الربوة : تقوم على جبل قاسيون في فم وادي دمشق ، وهما ربوتان عن يمين وشمال .
(٧) الفردوس : حديقة في الجنة . ـ رضوان : خادم الجنة .
(٨) السدى : الشهد ، و ـ ندى الليل ، وهو حياة الزرع .

و (النّيْرَبانِ) مَنازِهٌ ، رَقَصَتْ

زَهَراً ، وَغَنّى طَيْرُها غَرِداً[9]

اللّيْلُ فيها : كُلُّهُ سَحَرٌ

زاهٍ ، وسِحْرٌ يَخْلُبُ الكَبِدا

وهُناكَ .. مَنْ يَعْشَقْ ، يَجِدْ صُوَراً

عَجَباً ، تَعالَى حُسْنُها صَعَدا

مادارَ في خَلَدٍ تَصَوُّرُهُ ،

فاقَ الخَيالَ ، وَجازَهُ أَمَدا !

* * *

ناغَيْتُ (جِلَّقَ) عاشقاً بَلَداً

نَزِهاً ، وناساً أَشْبَهُوا البَلَدا !

أَسْكَنْتُهُمْ – لِجَلالِهِمْ – خَلَدي

حُبّاً ، كما أَسْكَنْتُها الخَلَدا[10]

---

(٩) النيربان ، والنيرب ، تذكر بالصيغتين : قرية مشهورة بدمشق ، على نصف فرسخ منها في وسط البساتين ، قال ياقوت : هي « انزه موضع رايته » ذكرها ابو المطاع وجيه الدولة بن حمدان في شعره بلفظ «النيربين» فقال :

سقى (الله) ارض (الغواطتين)واهلها ... فلي بجنوب (الغواطتين) شجون

فما ذكرتها النفس الا استخفني ... الى برد ماء (النيربين) حنين

وقد كان شكي للفراق يروعني ... فكيف يكون اليوم وهو يقين !

(١٠) الخلد : البال ، والقلب ، والنفس .

وَطَـنُ السَّناءِ ، أَنافَ ساكِنُهُ
بِكَرِيمَتَيْنِ : عُرُوبَةٍ وَهُدَى ! (١١)
جُذَّتْ يَدا مَنْ سامَهُ ضَرَراً
وَاسْتُؤْصِلَ الأَرْحامَ والوَلَدا (١٢)

* * *

أ (دِمَشْقُ) يا أُخْتَ الضُّحَى وَهَجاً
ذَهَباً ، ويا رِئْدَ العُلَى صَيَدا (١٣)
أَسَلِيلَةَ الأَحْقابِ ، وارِثَةً
زَهْوَ الحِضارَةِ جَلْوَةً ورِدا (١٤)
بِنْتَ العُرُوبَةِ ، نَبْتَ تُرْبَتِها
وعَرِينَها المُتَأَشِّبَ الأَسِدا (١٥)
ـ (غَسّانُ) . . أَثَّلَ فِيكِ مملكةً ،
غَنَّى لها (حَسّانُ) واحْتَشَدا (١٦)

---

(١١) السناء : الرفعة . ـ اناف على الشيء : اشرف .

(١٢) جذت : قطعت .

(١٣) الرئد : الترب ، وهو من ولد معك . ـ الصيد : رفع الراس كبرا .

(١٤) الردا : مقصور الرداء .

(١٥) المتاشب : الملتف . ـ الأسد : من قولهم اسد الرجل ، صار كالأسد في جراته واخلاقه .

(١٦) غسان : قبيلة عربية مشهورة ، اثلت ، اي اصلت ، في (الشام) مملكة قبل الاسلام ، وكان الشعراء يؤمون رؤساءها طلبا لرفدهم ، ومنهم (حسان بن ثابت الانصاري) . .

كُبَراؤُهــا ، يَسقُــونَ مَنْ وَرَدُوا
صَفْوَ الرَّحيقِ مُمــازِجاً (بَرَدَى) (١٧)

وعُلاكِ في (الإِسْلام) : كُلُّ عُــلاً
سَجَدَتْ لَهُ وتخاوَصَتْ حَسَدا ! (١٨)

مُلْكٌ عَرِيضٌ . . شَــدَّ (أَنْدَلُساً)
بِـ (السِنْدِ) مُحْتَشِــداً وَمُتَّحِــدا

وجَحافِــلٌ في البَــرِّ ، وازِعَــةٌ
نَزْوَ الغُزاةِ وَمَنْ بغى وَعَــدا (١٩)

وسَفائِــنٌ فـي البَحْــرِ ، حارِسَــةٌ
حُرَمَ الثُّغُــورِ ، طَوالِــعٌ مَدَدا (٢٠)

أصْبَحْــتِ بِـ (الإِسْــلامِ) قاعِدَةً
(لِلْمَشْرِقَيْــنِ) ، ومَوْئِــلاً فَرَدا

---

(١٧) تلميح الى قصيدة (حسان بن ثابت) في مدحهم ، ومنها قوله :

لله در عصــابــة نادمتهــم ... يوما بـ (جلق) في الزمان الأول
اولاد (جفنة) حــول قبر أبيهم ... قبر (ابن مارية) الكريم المفضل
يسقون من ورد (البريص) عليهم ... (بردى) يصفق بالرحيق السلسل

الرحيق : صفوة الخمر ، وفي التنزيل قوله تعالى : (من رحيق مختوم) ، قال الزجاج : « الرحيق الشراب الذي لا غش فيه » . ــ والمختوم : الذي لم يبتذل لأجل ختامه .

(١٨) التخاوض : أن يغض الانسان من بصــره شيئــا ، وهــو في ذالك يحدق النظر ، كأنه يقوم قدحا « بكسر اوله وسكون ثانيه » .

(١٩) الجحافل : جمع الجحفل ، وهــو الجيش الكثير . ــ وازعــة : اســم فاعل ، من وزعه ، اذا كفه ، فاتزع هو : كف . ــ والوازع : الزاجر .

(٢٠) الثغور : جمع الثغر ، وهــو مايلي دار الحــروب ، وموضع المخافة مــن فروج البلدان .

كُنْتِ (الثُّرَيّا) ، والوَرَى احْتَشَدُوا
كانُوا (الفُرُودَ الزُّهْرَ) و (السُّعُدا) (٢١)
أَعْلَتْ (أُمَيَّةُ) فِيكِ رايَتَهُ
شَمّاءَ تَحْسِرُ ناظِراً رَصَدا
وَحَوَيْتِهِ ، فَحَوَيْتِ جَوْهَرَةً
كالكَوْكَبِ الوَهّاجِ قَدْ وَقَدا
يَفْرِي الظَّلامَ سَنَا تَأَلُّقِهِ
ويُحِيلُ مِثْلَ الصُّبْحِ ما كَمَدا (٢٢)
ويُرِي البَصائِرَ ، إِذْ يُجَنِّبُها
شَرَّ العِثارِ ، طَرِيقَها الجَدَدا (٢٣)
أَطْلَعْتِهِ شَمْساً على أُمَمٍ
غَشّى الظَّلامُ عُيُونَها رَمَدا
عَلَّمْتِها ما لَيْسَ تَعْلَمُهُ
وَحَبَوْتِها الإِيمانَ والرَّشَدا

---

(٢١) الفرود : النجوم الفرود ، وهي كواكب زاهرة حول (الثريا) ، قرأها (المستشرقون) « القرود » بالقاف ، فصارت « النجوم القرود » وترجموها كذالك (monkeis) اي القرود . ــ السعد : سعود النجوم ، وهي الكواكب التي يقال لكل منها : سعد كذا ، وهي عشرة ، سعد بلع ، وسعد الأخبية ، وسعد الذابح ، وسعد السعود ــ وهذه الاربعة ينزل بها القمر ، والستة الباقية لا ينزل بها .

(٢٢) يفري : يشق . ــ يحيل : يحول ويغير . ــ كمد اللون : تغير ، وذهب صفاؤه ، وبقي أثره .

(٢٣) الجدد : الارض المستوية ، وفي المثل : « من سلك الجدد امن العثار » ، يريد : من سلك طريق الاجماع ، فكنى عنه بالجدد .

وَرَئِمْتِهــا عَطْفــاً وَمَرْحَمَـــةً
رَأْمَ الثَّواكِــلِ تُرْضِــعُ الوَلَدا (٢٤)
وهَدَيْــتِ دانِيَهُـــمْ وقاصِيَهُـــمْ
فَسَمَوْا مَعالِيَ وارْتَقَوْا سُــدَدا (٢٥)
نَعِمُوا ، وكانُوا في ضَلالَتِهِـــمْ
عُمْيَ القُلُــوبِ مَعاشِــراً بِــدَدا
بادِينَ فــي تَيْهــاءَ مُظْلِمَـــةٍ
في رَذْلِ عيشٍ جاوَزَ الأَمَـــدا (٢٦)
مَنْ دانَ لِـلأَصْنــامِ يَعْبُدُهــا
وَجْهــاً ، وَمَنْ لِلنّــارِ قــد سَجَدا

* * *

تابَعْتِ (طَيْبَةَ) سُنَّةً وهُـــدًى ،
والخَيْرُ مــا سَنَنْتُهُ وامْتَهَــدا (٢٧)
(أُمُّ الخِلافَةِ) ، أَصْلُ دَوْحَتِهــا
طابَتْ وطابَ بِها الوَرَى رَغَــدا (٢٨)

---

(٢٤) رئم الشي : احبه ، ورئمـت الأم ولدهـا : عطفـت عليه ، ولزمتـــه ــ الثواكل : جمع الثاكلة ، وهي من فقدت الحبيب أو الولد .

(٢٥) السدد : جمع السدة ، وهي باب الدار ، يقال : غشيت سدة فــلان ، قال الشاعر :

ترى الوفود قياما عند سدتـه يغشون باب مـزور غـير زوار

(٢٦) بدا القوم بدأ : خرجوا الى البادية ، وقـــوم بداوي وبــداوى : بادون . ــ التيهاء : الأرض التي لايهتدي فيها ، وفلاة تيهاء : مضلة يتيه فيهـــا الانسـان . ــ الأمد : الغاية كالمدى .

(٢٧) طيبة : المدينة النبوية المنورة . ــ أمتهد : انبسط وارتفع .

(٢٨) الدوحة : الشجرة العظيمة .

لَوْلا خِلافَتُهـا وسيرَتُهـا
ما قامَ مُلْكُكِ بَسْطَةً ويَدا

مِنْ رَحْمَةِ (الرَّحْمانِ) ما نَفَحَتْ،
يا طِيبَ ما نَفَحَتْ، وما وَفَدا!

كَرَوائِحِ (الفِرْدَوْسِ) ناشِرَةً
طِيباً، وعابِقَ سَوْسَنٍ، ونَدَى[29]

تَغْدُو على ذاوٍ فَتُنْعِشُهُ
وتَرُبُّ ما أَلْوَى وما هَمَدا[30]

أَوْحَتْ، فَسَطَّرْتِ الهُدَى سِيَراً
وُشِّيَتْ طِرازاً، وآزْدَهَتْ بُرَدا[31]

* * *

(تاريخُكِ المَيْمُونُ)، مَخْبَرُهُ
أَصْبَى هَوايَ إِليكِ، وآعْتَبَدا[32]

يَتَرَنَّحُ (العَرَبِيُّ) قارِئُهُ
طَرَباً، وتَسْمُو نَفْسُهُ صُعُدا

يُوحِي الى الأَبْناءِ ما سَطَرَتْ
أَنْباؤُهُ العَزَماتِ وَالْجَلَدا

---

(٢٩) الشبم : البارد . ـ الخضل : الندي المبتل .
(٣٠) ترب : تصلح وتنمي . ـ الوى : ذوي . ـ همد : سكن .
(٣١) البرد : جمع البردة ، نوع من الأكسية .
(٣٢) اصباه : شاقه . ـ اعتبده : اتخذه عبداً .

مَجْــدٌ على الأيّامِ .. لَوْ وَزَنُوا
مَجْدَ الأَنامِ بِبَعْضِهِ ، مَجَــدا [٣٣] !
أَلْوَتْ بِهِ الأعْداءُ ، غيْرَ سَنَــا
ذِكْرٍ ، كَلألاءِ الضُّحَى ،خَلَــدا [٣٤]
هَلْ يُسْتَعادُ جَلالُ سُدّتِــــهِ ؟
حُضَنِي البَنِيــنَ عليه والحُفَــدا [٣٥]
نَسْتَعْذِبُ الذِّكْرَى ، وَلَيْسَ بِنــا
فَخْرٌ ، لِنَبْعَثَ وانِياً قَعَــدا !

* * *

---

(٣٣) مجده : غلبــه في المجــد ، يقال : ماجــده مجادا ، عارضه بالمجــد ، وماجدته فمجدته امجده ، اي : غلبته بالمجد .
(٣٤) الوت به : ذهبت به .
(٣٥) الحفدا : مقصور الحفداء ، واحدها حفيد ، وهو ولد الولد .

ربــوة دمشــق

هَلْ نَحْنُ في حُلُــــمٍ مِــنْ عَيْشِنــا الرَّفِلِ ؟ (١)
نَنْساحُ في شَبِــمٍ مِنْهُ ، وفي خَضِــلِ (٢)

* * *

طافَــتْ بِنــا غُــرَرٌ كَأَنَّهــا سُرُجُ (٣)
تَزِينُهــا طُــرَرٌ كأَنَّهــا سُبَــجُ (٤)

* * *

مِنْ كُلِّ شائِقَــةٍ تُغْرَى بِهــا المُقَــلُ
بَيْضــاءَ رائِقَــةٍ يَحْلُــو بِهــا الغَــزَلُ

* * *

نَغْــدُو عَلَــى نَغَــمٍ يَلَــذُّ كالقُبَــلِ
حُلْــوٍ وَمُنْسَجِــمٍ كأَنَّــهُ غَــزَلي

* * *

في رَوْضَــةٍ أُنُــفٍ تَعِــجُّ بِالزَّهَــرِ (٥)
تَفُــوحُ في لَطَــفٍ عَنْ فاغِــمٍ عَطِــرِ (٦)

* * *

---

(١) الرفل : العيش الواسع السابغ .
(٢) الشبم : البارد . ـ الخضل : الندي المبتل .
(٣) الغرر : الوجوه الوضاء .
(٤) الطرر : جمع الطرة ، وهي ما تطره المراة من الشعر الموفي علــى جبهتهــا وتصففه . ـ السبج : جمع السبجة ، بالضــم ، وكذالك السبيجة ، وهي كساء اسود ، والمراد بها لونها .
(٥) روضة أنف : جديدة ، لم ترع من قبل .
(٦) اللطف ، بفتحتين : كاللطف بالضــم والسكون ، وهو الرفــق . ـ فاغم : مالىء الأنوف برائحته الطيبة .

كَأَنَّ جَدْوَلَهَا مِنْ طِيبِهِ عَسَلُ
كَأَنَّ بُلْبُلَهَا مِنْ خَمْرِهِ ثَمِلُ

* * *

قامَتْ عَلَى جَبَلٍ بِالحُسْنِ مُنْتَطِقِ
مِنْ يانِعٍ خَضِلٍ أَوْ زاهِرٍ أَنِقِ (٧)

* * *

أَيَّامُهَا جُدُدٌ يَحُفُّهَا الطَّرَبُ
كَأَنَّهَا خُرُدٌ في حُسْنِهَا ، عُرُبُ (٨)

* * *

شاقَ الأَصِيلُ بِهَا وَاسْتَضْحَكَ الشَّفَقُ (٩)
كَأَنَّ مَغْرِبَهَا تَبْدو بِهِ (الشَّرَقُ)(١٠)

* * *

مَنْ لِي بِهَا مُتَعاً تَدُومُ لَذَّتُهَا ؟
لاجُزْنَ بي لُمَعاً تَغِيبُ مَحَتُهَا !

- * * -

---

(٧) اليانع : الثمر الناضج .
(٨) الخرد : جمع خرود ، وهي المراة الحيية ، والبكر لم تمس . ـ العربه : جمع عروب ، وهي المتحببة الى زوجها .
(٩) الأصيل : الوقت حين تصفر الشمس لمغربها .
(١٠) الشرق ، بفتحتين : الشمس .

النيل .. من وحي صورة

حَيَّيْتَنِي بِالمَنْظَرِ الفَتَّانِ
فَهَزَزْتَ نَفْسِي ، وَآسْتَثَرْتَ بَيانِي
ما كانَ أَبْدَعَ ما آصْطَفَيْتَ لِناظِرِي !
سُبْحانَ بارِي الحُسْنِ في الأَكْوانِ !

* * *

(النِّيلُ) يَخْتَرِقُ الخَمائِلَ سادِراً
في كِبْرِ مَرْمُوقِ الجَلالِ مُعانِ [1]
مُتَأَلِّقُ الأَوْضاحِ . . تَحْسَبُ وَجْهَهُ
قَسَماتِ أَبْلَجَ عَبْقَرِيِّ الشَّانِ [2]
تَزْهُو بِزِينَتِهِ البِقاعُ وَوَشْيِهِ
زَهْوَ الرَّبِيعِ بِحُسْنِهِ الفَتَّانِ
مُتَدَفِّقٌ ، مُتَدَفِّعٌ ، مُتَمَوِّجٌ ،
مُتَكَسِّرٌ ، مُتَعَرِّجُ الشُّطْآنِ

* * *

(١) سادر : ذاهب لا يثنيه شيء .
(٢) الأوضاح : الأضواء . ــ الأبلج : من بعد ما بين حاجبيه ، ومن تنضر وجهه سرورا ، كنى به عن الشريف . ــ قسماته : ملامح وجهه .

والفُلْكُ بِالشُّرُعِ الحِسانِ ، تخالُها
زُمَرَ الطُّيُورِ تَهُمُّ بِالطَّيَرانِ
يَسْلُكْنَهُ حِيناً صَواعِدَ عَكْسَهُ
وحَوادِراً حِيناً مَعَ الْجَرَيانِ
وكَأَنَّما الشُّرُعُ الحِسانُ حَوانِياً
أَكْبادُ عُشّاقٍ ، تَرِقُّ ، حَوانِي
وكَأَنَّما رَعَشاتُهُنَّ خَوافِقاً
رَعَشاتُ قَلْبٍ دائِبِ الْخَفَقانِ

* * *

والنَّخْلُ في الشَّطَّيْنِ ، شِبْهُ عَرائِسٍ
يَزْهُو هُناكَ بِحُسْنِها الشَّطّانِ
قامَتْ تَناجَى كالأَوانِسِ مَوْقِفاً
في مَجْمَعِ السَّمَرِ اللَّطِيفِ النهاني (٣)
هَلْ بَيْنَ نَخْلِ الشّاطِئَيْنِ تَغازُلٌ
كَتَغازُلِ الفَتَياتِ والفِتْيانِ ؟
طالَ الوُقُوفُ . فَما التَّناجِي يَنْتَهِي
حَتّى يُفَرِّقَ بَيْنَها الْمَلَوانِ (٤)

* * *

---

(٣) تناجى : تتناجى : حذفت تاء المضارع منه ، وهو قياس في العربية .
(٤) الملوان : الليل والنهار .

وعلى حِفافِ النَّهْرِ ، أَوْفَتْ كالدُّمى

خَوْدانِ .. تَحْتَ النَّخْلِ تَسْتَقِيانِ (٥)

إحْداهُما . . في الماءِ تَغْمِسُ جَرَّةً

بِأرَقَّ كَفٍّ رَخْصَةٍ وبَنانِ (٦)

مَدَّتْ بِهِ ساقاً ، ومالَتْ فَوْقَها

كالأُمِّ تُرْضِعُ طِفْلَها بِحَنانِ !

وحِيالَها الأُخْرَى . . فَدَيْتُ وَقارَها !

تَطَأُ الثَّرَى بِتَرَفُّقٍ ولَيانِ

صَدَرَتْ بِجَرَّتِها ، وقَدْ عَطَفَتْ لَها

جِيداً أُتَيْلِعَ . . شِبْهَ ظَبْيِ البانِ (٧)

كِلْتاهُما ظَمْأى الوِشاحِ ، وإنَّما

تَرْوَى بِغَضِّ جَمالِها العَيْنانِ (٨)

* * *

هُوَ مَشْهَدٌ في العَيْنِ ، يَبْعَثُ رَوْعَةً

لاكِنْ لَهُ في القَلْبِ وَخْزُ طِعانِ !

---

(٥) حفاف النهر : جوانبه . ـ الدمى : الصور المثلة في العاج وغيره ، يضرب بها المثل في الحسن . ـ الخود : الشابة الناعمة الحسنة الخلق.

(٦) كف رخصة : ناعمة لينة . ـ البنان : الأصابع ، أو أطرافها .

(٧) جيد أتلع : عنق طويل ، وأتيلع : تصغير أتلع . ـ البان : ضرب من الشجر سبط القوام لين ، تشبه به الحسان في الاعتدال واللين .

(٨) ظمأى الوشاح : هيفاء دقيقة الخصر ، والظمأى : العطشى . ـ الوشاح : نسيج تشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . ـ الغض : الطري الناضر .

مَنْ لِلْقَوارِيرِ اللِّطـافِ .. يَصُونُهـا
في الشَّرْقِ مِنْ عَنَتٍ ومِنْ إِهْوانِ ؟

وإِلامَ .. هاذا الشَّرْقُ يَضْنَى أَهْلُـه
ويَعيشُ في شَظَفٍ وفي حِرْمانِ ؟ (٩)

لاعُذْرَ لِلْمَلإِ الأُلَى قَدْ أَتْرَفُـوا
حتَّى يُفيضُوا الخَيْرَ في الأَوْطـانِ !

* * *

ولَقَدْ أثارَتْ مِنْ شُجُوني قَرْيَـةٌ
قامَتْ عليه في المَحَلِّ الـدّاني

تَرْنُو إليه مَساكِناً ومَنافِـذاً
نَظَرَ (المَجُوسِ) مَوا قِدَ النِّيرانِ

لَيْسَتْ بِباذِخَةِ الذُّرَا ، لاكِنَّهـا
هِيَ أَصْلُ كُلِّ بَواذِخِ العُمْرانِ (١٠)

حَمَلَتْ إلى أَهْلِ الحَضارَةِ يُمْنَهـا
وهُما ، على طُولِ المَدَى ، صِنْوا نِ (١١)

بَرَّتْ ، وعَقُّوها . ولَوْ هُمْ أَنْصَفُـوا
لاسْتَقْبَلُوا الإحْسانَ بِالإِحْسـانِ

* * *

يا لَيْتَ لي فيهـا هُنـالِكَ دارَةً
تَنْأى بِنَفْسي عَنْ هُمُومِ زَماني (١٢)

---

(٩) يضنى : يمرض وينحل جسمه . ـ الشظف : الشدة والضيق .
(١٠) باذخة : عالية بائنة العلو .
(١١) الصنو : الأخ الشقيق ، والنظير ، والمثل . (١٢) تنـأى : تبعد .

أرْعَى ، إذا طَلَعَ النَّهارُ ، سَوائِمِي
فيها ، ولا أرْعَى بني الإنْسانِ !
أغْدُو إلى « الغَيْطِ » الجَميلِ مُبَكِّراً
وأرُوحُ مِنهُ بِراحَةٍ وأمانِ (١٣)
«شَبّابَتِي» بِفَمِي ، تُذِيعُ مَحَبَّتِي
وتَجِيءُ لي بالأُنْسِ والسُّلْوانِ (١٤)
وإذا الدُّجَى جَنَّ الأنامَ ظَلامُهُ
وأوَوْا ، أوَيْتُ إلى جَنِيبِ مَكانِي (١٥)
مُتَهَجِّداً (للهِ) . . حتَّى أرْتَوِي
أنْساً ، ويَفْنَى في بَهاهُ كِياني
وأجِيءُ خَلْقاً لا تَنافُرَ بَيْنَهُمْ
غُسِلَتْ قُلُوبُهُمُ مِنَ الأضْغانِ (١٦)
مالي ولِلْعَيْشِ المُعَقَّدِ في الوَرَى ؟
ماذا جَنَيْتُ مِنَ الزَّمانِ الفاني ؟
أيْنَ الثَّلاثُونَ الَّتي أسْلَفْتُها
لِلدِّينِ ، والدُّنْيا ، ولِلأوْطانِ ؟

---

(١٣) الغيط : يطلقه اهل مصر على الأرض الصالحة للزرع ، واصله في العربية المطمئن الواسع من الأرض .
(١٤) الشبابة : قصبة الزمر ، « مولدة » .
(١٥) جن الأنام : سترهم بظلامه . ــ جنيب : متباعد كالغريب .
(١٦) الأضغان : الأحقاد الشديدة .

ذَهَبَتْ كأمْسِ ، وأنكَرُوا عِرْفانَها !
أتُرَى الْجَهالَةَ غايَةَ العِرْفانِ ؟ !
كانَتْ عَواقِبُها الّتِي أدْرَكْتُها
ظُلْمَ السُّجُونِ ، وَشِقْوَةَ الحِرْمانِ !
وجَنَيْتُ مِنْ وُدٍّ غَرَسْتُ نَباتَهُ
ما باتَ يَجْنِي غارِسُ الشَّنَآنِ [17]
ولَطالَمَا مَذَقَ الوِدادَ مُنافِقٌ
وأسَرَّ لِي كَيْدَ العَدُوِّ الشّانِي [18]
وَعَشِيرِ أزْمانٍ . . صَدَقْتُ وِدادَهُ ،
قَدْ كانَ أسْبَقَ مَنْ بَغَى فرَمانِي !
قَدْ حِرْتُ ، لَوْ نَفَعَتْ حَياتِيَ حَيْرَتِي !
ما أوْلَعَ الإنْسانَ بِالعُدْوانِ !
وعَلامَ يَقْتَتِلُ الأنامُ ، وكُلُّهُمْ
فانٍ ، وكُلُّ وُجُودِ شَيْءٍ فانِي ؟
أصْبَحْتُ أغْبِطُ راعِياً في مُخْصِبٍ
يَقْضِي الحَياةَ مُرافِقَ الحَيَوانِ !
لَمْ يَدْرِ ما الدُّنْيا ، وما أوْطارُها
في العَيْشِ مِنْ وَصْلٍ وَمِنْ هِجْرانِ [19]
قَتَلَ المَتاعِبَ بالسُّلُوِّ عن الوَرَى ،
وأصابَ مِنها الرِّبْحَ في الخُسْرانِ !

١٩٤٥ م

---

(١٧) الشنآن : البغض الشديد .
(١٨) مذق الود : شابه ولم يخلصه . ـ الشاني : الشانىء ، وهو الشديد البغض .
(١٩) الأوطار : جمع لوطر ، وهو الحاجة فيها مارب وهمة .

المغــرب العــربي ..

وطــن الجمــال وامــة الجــلال

« زار صاحب الديوان (المغرب العربــي) في عام ١٩٦٠ لأوائل عهد استقلالــه ، ملبياً دعوة (حكومته) اياه لحضور الاحتفال بمرور أحد عشر قرناً على انشاء (القرويين) .. فشاهد فيه من جمال الطبيعة حيث طاف وسلــك ما أعجبه واستولى على مجامع قلبه ، فأحبــه .. واحب دماثة أهليه ، وذوقهم الحضــاري الأنيق ، وحصافة علمائه وأدبائه وساسته ، وحفاظهم على تراث العروبة لغة وادباً وفناً ، واستمساكهم بعروة الاسلام الصحيح عقيــدة جامعــة ووحــدة بريئة مــن أهــواء أصحاب الأهــواء .

وفي عام ١٩٨٠ تلقى من لدن ملكه العالــم الموفق أمير المؤمنين (الحسن الثاني) كتابــاً كريماً ، يشعره فيه بثقته به وابرامه مقترح انتخابه عضواً ممثلا للعراق في (الأكاديمية) ، التي انشأها مناراً للثقافات والآداب والعلوم ، تشارك فيها العلية من علماء دول العالم .

ومــن هذين العاملــين المؤثريــن البليغين ، انبثقت هذه القصيدة ، تعبر عن أحاســيس ناسج بردها ومحبرها صادقاً ومخلصاً .

وقد أنشدها في ندوة (الأكاديمية) ، في (الرباط) : عاصمة المملكــة المغربية ، في حضوره الأول الذي تسنى له ، في خــريف عام ١٩٨١ .. وترجم معانيها المترجمون في ساعة انشادهــا الى الانكليزية ، والفرنسية ، والاسبانية ، واذاعتها (الاذاعة المسموعة) ، ثم أعادت اذاعتها مراراً من بعد »

(١)

حَيِّ السَّنا ، والشَّذا ، والحُسْنَ ، والرَّغَدا
تَبارَكَ (اللهُ) ! كَمْ أَسْنَى ! وكَمْ رَفَدا ! (١)
هَلَّلْتُ لِلأُفُقِ الوَرْدِيِّ ، مُكْتَنَفاً
بِأَخْضَرَيْنِ .. لَدَى شُطْآنِهِ اتَّحَدا (٢)
شِعْرٌ ، وأَلْوانُ أَطْيافٍ ، وأَخْيِلَةٌ
كَأَنَّها حُلُمٌ بِالعَيْنِ قَدْ رَقَدا
لَمْ أَدْرِ .. هَلْ مِنْ خُدُودِ الغِيدِ رَوْنَقُهُ
وقد زَها ، وَصَفا ، وَاهْتَلَّ ، وَابْتَرَدا ؟ (٣)
أَمْ مِنْهُ تِلْكَ الخُدُودُ الزُّهْرُ قَدْ سَرَقَتْ
لَأْلاءَها الوَرْدَ ، والماءَ الَّذي اطَّرَدا ؟
جُنَّتْ بِهِ القُبَّةُ الزَّرْقاءُ ، فَأْتَلَقَتْ :
شَفَّتْ ، ورَفَّتْ كَقَلْبِ العاشِقِ ارْتَعَدا
مَسْحُورَةً .. وَهْيَ لِلأَبْصارِ ساحِرَةٌ ،
مَأْخُوذَةً .. ورُؤاها يَخْلُبُ الكَبِدا ! (٤)

---

(١) اسنى الشيء : جعله ذا سناء ، والسناء (بالمد) : الرفعة . ـ والنار ونحوها : رفع سناها وضوءها . ـ رفد : أعطى .

(٢) مكتنف : محاط . ـ الأخضران : البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي .

(٣) اهتل : تلألأ .

(٤) رؤاها : رؤاؤها ، قصر للوزن . والرواء : مهموز وغير مهموز ، وهو حسن المنظر في البهاء والجمال .

تَزْدانُ بِالنَّيِّراتِ الزُّهْرِ حالِيَةً
كالرَّوْضِ . . أَشْرَقَ فيهِ الزَّهْرُ واتَّقَدا
أَعْجِبْ بِساحِرَةٍ ، تَرْتَدُّ – مِنْ دَهَشٍ –
مَسْحُورَةَ اللُّبِّ . لا وَهْماً ، ولا فَنَدا (٥)
كأنَّها أخذَتْ لمّا رَنَتْ ، فَرَأَتْ
أُفْقاً – تَأَلَّقَ في أَعْطافِهِ – فَرَدا (٦)
خَمِيلَةً طَلَّةً خَضْراءَ . . شَعْشَعَها
مِنْ حِلْيَةِ الشَّمْسِ تِبْرٌ فَوْقَها سَجَدا (٧)

* * *

قالوا : هُوَ (المَغْرِبُ الأَقْصَى) . فَواعَجَبا !
أَمَغْرِبٌ . . وَسَناهُ ساطِعٌ أَبَداً ! ؟
وَلَيْسَ يَغْرُبُ فيهِ ضَوْءُ شارِقَةٍ ،
وَأُفْقُهُ مَشْرِقُ (البَدْرِ) الَّذِي وَفَدا
وَ (الشَّمْسُ) تَجْرِي إليه في تَقَلُّبِها
وَلْهَى . . قَدِ الْتَهَبَتْ مِنْ شَوْقِها صَخَدا (٨)
تَلْقَى عليهِ أَخاها (البَدْرَ) شَيِّقَةً
وَيَلْتَقِي ضَوْؤُهُ أَنْوارَها أَفِدا (٩)
أَعْراسُ ضَوْءٍ وحُسْنٍ ثَمَّ راقِصَةٌ
تُذْكِي الهوى ، وتُزَكِّي الرُّوحَ والجَسَدا

---

(٥) الفند : الكذب .
(٦) فرد ، بفتح أوله وثانيه : منفرد عن غيره بروعته .
(٧) طلة : بلها الطل . ــ شعشعها : مزجها . ــ التبر : الذهب .
(٨) الولهى : الحانة . ــ الصخد : اشتداد الحرارة .
(٩) الشيقة : المشتاقة . ــ افد ، كفرح : عجل ، واسرع . فهو افد .

أَلْفَيْتُ في طِيبِ (أَهْليهِ) ـ وَقَدْ كَرُمُوا ـ
نَفْحَ الشَّذا ، وَرَفيفَ الوَرْدِ ، والمَلَدا (١٠)
حُسْنُ الطَّبيعةِ .. يُذْكي في مَساكِنِه
حِسَّ الجَمالِ ، وَيُوحِي اللُّطْفَ والغَيَدا ! (١١)
لانُوا .. وَلاكِنْ إذا الجُلَّى دَعَتْ ، خَشُنُوا
كَأَخْضَرِ العُودِ ، ضَمَّ النّارَ والجَمَدا ! (١٢)
بَنُو بُناةِ المَعالي مِنْ عَباقِرَةٍ
طِماحُهُمْ بِمَراقِي الشَّمْسِ قَدْ عُقِدا
لا يَرْصُدُ الطَّرْفُ مِنْهُمْ دُونَ حاجِبِها ،
بَلَى .. وَيَرْصُدُ أَنْأى مِنْهُ مُرْتَصَدا
الشّائِدِينَ قِبابَ (الحَقِّ) عالِيَةً
مَرْصُوصَةً أُسُساً ، مَرْفُوعَةً عَمَدا
الرّافِعِينَ طِرافَ (العَدْلِ) مُنْسَمِكاً
مُسْتَشْرِفاً طُنُفاً ، مُسْتَحْكِماً زَرَدا (١٣)
الهاتِفِينَ بِقُدْسِ (الحُبِّ) واشِجَةً
وَبِرِّ (المُؤاخاةِ) إِيماناً ومُعْتَقَدا (١٤)
سادُوا .. وَقَدْ وَسِعُوا الدُّنْيا مُوادَعَةً ،
والحُرُّ .. مَنْ يَسَعُ الأَحْرارَ والعُبُدا (١٥)

---

(١٠) الملد ، بفتح أوله وثانيه : الاهتزاز من النعمة (بفتح النون) ، وهي الترفه .
(١١) الغيد : بفتح أوله وثانيه : التمايل من اللطف ولين الجانب .
(١٢) الجلى : الأمر العظيم ، ـ الجمد : ما جمد من الماء .
(١٣) الطراف : البيت من أدم . ـ منسمك : رفيع السمك ، وهو السقف ، ـ الطنف : السقيفة .
(١٤) الواشجة : الرحم المشتبكة المتصلة . (١٥) العبد : بضمتين : العبيد .

حَضارَةُ الرُّوحِ والأَخْلاقِ ، ما اَعْتَقَدُوا :
تَعَشَّقُوها ، فأَوْلَوْها هَوًى وَيَدا
هامُوا ، وما وَهَمُوا ، في حُبِّها شَغَفاً .
وَإِنْ غَلَوْا ، فبما أَعْطَى المَلا رَغَدا
دَقُّوا بَشائِرَها في الأَرْضِ ، واَحْتَمَلُوا
راياتِها ، ومَشَوْا نَحْوَ العُلا صُعُدا
مُسْتَشْرِفِينَ الْتِقاءَ الخَلْقِ في سَلَمٍ
وناشِدِينَ جَلالَ المَجْدِ والسَّدَدا

• • •

سَلِ (الزُّقاقَ) ، وأَعْظِمْ بِالَّذي شَهِدا !
كَيْفَ اَسْتَجاشُوا على أَثْباجِهِ حَشَدا ؟(١٦)
وَ (صَخْرَةً) . . جَثَمَتْ شَمّاءَ عاتِيَةً ،
وفُلْكُ (طارِقَ) تَنْحُو شَطْرَها سَرَدا(١٧)
قامَتْ هُناكَ حُدَيّا مَنْ يُراوِدُها
فَرْعاءَ ، تَرْعُبُ خَصْماً قاحِماً قَصَدا(١٨)
فَطامَنَتْ لِعُلاهُمْ غَيْرَ آبِيَةٍ ،
ولا مُعاجِزَةٍ مِنْ جُنْدِهِ أَحَدا
لم تَحْمِ (لُذْرِيقَ) مِنْهُمْ في مُناجَزَةٍ ؛
بَلَى ! وأَرْهَبَها لُقْيانُهُمْ أَسَدا(١٩)

---

(١٦) الزقاق : مضيق جبل طارق . ــ الأثباج : جمع الثبج (بفتحتين) ، وهو وسط البحر .
(١٧) الصخرة : جبل طارق . ــ الفلك : السفن . ــ طارق : طارق بن زياد قائد العبور الى الأندلس .
(١٨) حديا : معارضة . ــ فرعاء : مرتفعة . ــ قاحم : رام بنفسه في عظيمة .
(١٩) لذريق : هو (Rodriga) القائد القوطي الذي هزمه المسلمون .

سَلْ بَعْدُ (أَنْدَلُساً) : ماذا أَتَوا وَبَنَوْا ؟
فَهَلْ أَتَوْا ثَمَّ إلا رَمَّ ما فَسَـــدا ؟
وَهَلْ بَنَوْا غَيْرَ أَمْلاكٍ وَمَمْلَكَـــةٍ
طالَتْ على الدَّهْرِ سُلْطاناً ومُلْتَحَدا؟ (٢٠)
وَدَوْلَةٍ ، كَجَلالِ الشَّمْسِ ، عالِيَـــةٍ
لألاؤها ضَوَّأَ الآفاقَ ، وامْتَهَـــدا (٢١)
وأُمَّةٍ حَفَلَتْ بِالعِلْمِ ، واسْتَبَقَتْ :
يَدٌ تَشيدُ ، وأُخرَى تَعْدِلُ الأَوَدا (٢٢)
إنْسانُها أُمَّةٌ في نَفْسِهِ عِظَمـــاً :
يَأْتِي الجَلائِلَ إبْداعاً إذا نَهَـــدا
تَحفَى اليَراعَةُ تَدْبيجاً وتَوْشِيَـــةً
لها ، وَتُعْجِزُها أَنْ تَبْلُغَ الأَمَـــدا
أَكْبِرْ بِما أَثَّلَتْ في الأَرْضِ مِنْ عِظَمٍ
مِمّا اسْتَعَزَّ على الدُّنيا، وما خَلَـدا ! (٢٣)

• • •

قَدْ صاغَتِ (العَرَبُ) الإنسانَ جَوْهَرَةً
تَشِعُّ . . لاكِنْ بِنُورِ (الله) وَالرَّشَدَى (٢٤)
صَفَّتْهُ نَفْساً فأَذْكَتْ مِنْ عَزائِمِهِ ،
وكانَ يَشْقَى ، فأَحْيَتْهُ وقَدْ سَعِـدا

---

(٢٠) الملتحد : الملجـا .
(٢١) امتهد : انبسط وارتفع .
(٢٢) الأود : الاعوجاج .
(٢٣) نهـد : نهض ومضى .
(٢٤) الرشدى : بالألف المقصورة : اسم للرشاد .

وحَرَّرَتْهُ فأَغْلَتْ شأْنَهُ كِبَــــراً ،
وكان عَبْداً فأَضْحَى السَّيِّدَ السَّنَدا

* * *

ماذا أفاءَ على (الإنْسانِ) غَيْرُهُـــــمُ
غَيْرَ الدَّمارِ الَّذي شَتَّ الوَرَى بَدَدا ؟(٢٥)

وما أفادَ (بَنُو الرُّجْعَى) شُعُوبَهُمُ
والنَّاسَ ، والعَيْشَ ، والأَرْحامَ ، والبَلَدا ؟

مِنُونَ مِنْ عُمُرِ الأَحْقابِ . . ما فَتِئُوا
يَشْقَوْنَ فيها ، ويَلْقَوْنَ الرَّدَى طَرَدا

الجَهْلُ قادِعُهُمْ ، والفَقْرُ فادِحُهُمْ ،
والظُّلْمُ عاقِرُهُمْ شِبْهَ القَنا قِصَدا (٢٦)

ولَسْتَ تَسْمَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ شارِدَةٍ
إلّا سَفاسِفَ تَغْلِي عِنْدَهُمْ زَبَــدا

ولا تَرَى بَيْنَهُمْ في مَوْضِعٍ بَشَراً
إلّا كَمَنْ يُشْبِهُ الأَنْعــامَ والنَّقَدا (٢٧)

* * *

بني الفُتُوحِ . أعزَّ (اللهُ) دَوْلَتَكُمْ !
جَدَّ الزَّمانُ ، فَجِدُّوا ، وآسْلُكُوا الجَدَدا (٢٨)

آفاتُهُ كأَتِيِّ السَّيْلِ صاحِبَـــــةٌ
تَنْحُو فَواتِكُها آفاقَــنا لِبَـــدا ، (٢٩)

---

(٢٥) شت : فرق . ـ أفاء عليه الشيء : جلبه له . ـ بددا : متفرقين .
(٢٦) قصد ، بكسر أوله وفتح ثانيه : كسر ، جمع كسرة .
(٢٧) النقد : بفتحين : جنس من الغنم حقير الجرم .
(٢٨) الجدد ، بفتح أوله وثانيه : الأرض المستوية .
(٢٩) لبــد : بعضها ركب بعضا .

تَنداحُ مِنْ حَوْلِنا هُوجاً مُدَمْدِمَةً
كالأُفعُوانِ إذاما الْتَفَّ واحْتَشَدا [30]
فَلْيُبْتَنَ السَّدُّ مِنْ أَرْواحِنا زُبَراً
يَحْمِي المَوَاطِنَ ، والأَعْراضَ ، والوَلَدا [31]
مِيراثُنا .. جَهْدُ آباءٍ لنا مَجَدُوا
على الزَّمانِ ، جديدٌ خالدٌ أبدا :
تَشْرِيعُهُ ، ونَوَامِيهِ ، وعِزَّتُهُ
ورُوحُهُ ، وَهْيَ تَحْمِي الأَنْفَ والخَلَدا : [32]
عَتَادُنا ، يَنْبَتَنِينا أُمَّةً ، ويَقِي
وُجُودَنا غاشياتِ البَغْيِ ، والنَّكَدا
لايُبْلَغُ العِزُّ إلا من مَسالِكِه ،
وليس يُعْطِيهِ مَنْ مَنَّى ومَنْ وَعَدا

• • •

(أَرْضُ العُرُوبةِ) قَلْبُ الأرضِ .. هَيْكَلُها
في الشَّرْقِ والغَرْبِ ، مَبْسُوطٌ يَداً ومَدَى
نَسْرٌ .. جَنَاحاهُ جبّارانِ .. إمْتَهَدا ،
وَاسْتَرْهَبَ العَيْنَ جِرْماً ، واعْتَلَى كَتَدا ! [33]
هُنا (عِراقُ العُلَى) يَزْهُو بِغُرَّتِهِ ،
في(الشَّرْقِ) يَرْتادُ عَرْشَ الشَّمْسِ مُقْتَعَدا

---

(٣٠) تنداح : تعظم وتسترسل . ـ هوج : متتابعة الهبوب كأن بها هوجا اي حمقا .
(٣١) الزبر : قطع الحديد الضخام .
(٣٢) النوامي : النوازع المبدعة الخلاقة . ـ الخلد : النفس (بسكون الباء) .
(٣٣) الكتد : مجتمع الكتفين .

وهاهُنا (المَغْرِبُ) الوَهّاجُ شـــارِقُهُ
في (الغَرْبِ) ، مُنْتَصِبٌ في عِزِّهِ صَيَدا (٣٤)
وَكُلُّ مَعْقِدِ رَمْلٍ في مَفاوِزِها
(قُدْسٌ) ، تَحَرَّمَ بِالأرواحِ وَاْعتَضَدا

* * *

متى أرى (الوَحْدَةَ الكُبْرَى) تَحُوطُ لها
هاذي النجلالَةَ ، والأقْداسَ ، والعَقَدا؟ (٣٥)
وَأيْنَ لي مُدَّةٌ أحيا بها ، فَأرَى
بَعْضاً يَشُدُّ لِبَعْضٍ آخَرٍ عَضُدا
لا يَقْدَحُ الزَّنْدُ في كَفٍّ إذا انْفَرَدَتْ ،
وِبِالْيَدَيْنِ يُشيرُ النّارَ إنْ زُنِدا (٣٧)
ما نَحْنُ في الدَّهْرِ إلا أُمَّـــةٌ وَحَدَتْ
وَوَحَّدَتْ أُمَمَ الدُّنْيا هَوًى وهُدَى (٣٨)
رَفَّتْ عليها رَفيفَ الوَرْدِ في سَحَرٍ
جـــالَ النَّدَى فَوْقَهُ ، فَاْفْتَرَّ وَارْتَأدا (٣٩)

١٢ / ١٤٠١ هـ ـ ١١ / ١٩٨١ م

---

(٣٤) شارقه : شمسه . ـ الصيد ، بفتحتين : الكبر والشموخ .
(٣٥) تحرم : تمنع .
(٣٦) العقد ، بفتحتين : الولايات على الأمصار .
(٣٧) زند الزند ، بالبناء للمجهول : استقدح ليوري ويقدح .
(٣٨) وحدت ، بتخفيف الحاء : انفردت بسمو الرسالة الاسلامية وحملها الى اهل الأرض .
(٣٩) السحر : قبيل الصبح . ـ افتر : تلألأ . ـ ارتأد : اهتز من النعمة (بفتح النون) ، وهي الترفه .

اسـلامبول ..
عـروس الشـرق

هُنا الدُّنْيا . . هُنا الدُّنْيـا !   ألا ، ما أحْسَنَ المَحْيـا !

* * *

رُواءٌ كَفَمِ الكَـوْنِ   إذا افْترَّ عَنِ الفَجْـرِ [1]
على الأُفْقِ ، على الـرَّوْضِ   على البَرِّ ، على البَحْـرِ
كأنَّ الأرْضَ قَدْ قامَـتْ   على الرَّقْصَـةِ والزَّمْـرِ
سُرُورٌ أيْنَما سِـرْتَ   وعُرْسٌ حَيْثُمـا تَجْري
فَيا عاشِقَ دُنْيـاه   هُنا الدُّنْيا . . هُنا الدُّنْيـا !

* * *

رِباعٌ . . كَجِنانِ (الخُلْـ   ـدِ) : لا حَرٌّ ، ولا بَـرْدُ
صَبَاها في ضُحَى « آبَ »   كَمـا يَنْفَحُـهُ الـوَرْدُ
فَـرَوْضٌ أرِجُ العِطْـرِ   وَجَـوٌّ غَنِـجٌ سَعْـدُ [2]
أنيقُ الوَشْيِ ، كالجيـدِ   إذا زَيَّنَهُ العِقْـدُ [3]
فَيا عاشِقَ دُنْيـاهُ   هُنا الدُّنْيا .. هُنا الدُّنْيـا !

* * *

يَحارُ الفِكْرُ ، إنْ جـال ،   بِما يَشْهَدُ مِنْ حُسْـنِ
فَما يُؤْثِرُ ، أوْ يَهْـوَى ؟   وما يُبْعِدُ ، أوْ يُدْنِي ؟ [4]

---

(١) الرواء : حسن المنظر في البهـاء والجمال ، مهموز وغير مهمـوز . ـ افتر : تبسم .
(٢) غنج : رقيق ، به شبه من ملاحة الحسناء الغنجة المتدللة علـى زوجها ، ـ سعد : مصدر ، وصف به .
(٣) الجيد : العنق ، وموضع القلادة منه . ـ العقد : القلادة .
(٤) يؤثر : يفضل .

إذا أعْجَبَــهُ مَــرْأى ، رأى أعْجَــبَ في الشّأنِ
فَــلا يَنْفَكُ مسحــوراً كَمَأخُوذِ ابْنَةِ الــدّنِّ(٥)
فَيا عاشِقَ دُنْيــــاهُ هُنا الدُّنْيا . . هُنا الدُّنْيــا !

* * *

شَهِدْتُ الحُسْنَ مَطْبُوعاً كَمــا أبْصَرْتُ مَصْنُوعــا
وَصادَفْتُ الهَوَى سَمْحاً وَقَدْ تَلْقــاهُ ممنوعــا
وشِمْتُ (الخُلْدَ) مَرْئِيّاً ، وَقَبْلاً كانَ مَسْمُوعــا(٦)
وَألْفَيْتُ شَــتاتَ الحُسْــنِ في (البُسْفُورِ) مَجْمُوعا(٧)
فَيا عاشِــقَ دُنْيــــاهُ هُنا الدُّنْــيا . . هُنا الدُّنْــيا !

* * *

حِسانٌ . . كَعَذارَى (الخُلْــدِ) ، يَمْرَحْنَ زَرافــاتِ(٨)
كَأنْ « نَيْسانُ » أبداهُنَّ في الآفــاقِ باقــــاتِ
فَهُنَّ الزَّهْرُ في الــــرَّوْضِ نَشَرْنَ الحُسْنَ طاقــاتِ
وَهُنَّ الزُّهْرُ في الأُفــقِ نَزَلْنَ الأرْضَ غــاداتِ(٩)
فَيــا عاشِــقَ دُنْيــاهُ هُنا الدُّنْــيا . . هُنا الدُّنْيــا !

* * *

جَمالٌ . . كَفُتُونِ السِّحْــرِ أخْذاً ، وَالسَّنا وَمْضــا

---

(٥) ابنة الدن : الخمر ، والدن وعاؤها .
(٦) شمت : ابصرت .
(٧) البسفور : مضيق يفصل تركيــة الأوربيــة عن تركية الآسيوية ، ويصل البحر الأسود ببحر مرمرة ، وتقوم عروس الشرق (اسلامبول) الساحرة على كلا جانبيه .
(٨) يمرحن : يتبخترن ويختلن دلالا . ــ زرافات : جماعات .
(٩) الغادة : المرأة الناعمة اللينة .

مَجَسٌّ . . لَيِّنٌ غَضٌّ ، وَمَرْآى . . بَهِيجٌ وُضَّا (١٠)
سَلِ الْخافِقَ عَنْ بَلْوا هُ فيهِ ، واسْأَلِ النَّبْضا (١١)
فمَنْ يُمْسِكُ عَنْهُ النَّفْسَ أَنْ تَأْكُلَهُ عَضّا ؟
فَيا عاشِقَ دُنْياهُ هُنا الدُّنْيا . هُنا الدُّنْيا !

* * *

كَأَنَّ الوَقْتَ ، بِالغاداتِ كالأَزْهارِ ، « نَيْسانُ »
فَهَلْ غابَ عَنِ (الخُلْدِ) رَقِيبُ الخُلْدِ (رِضْوانُ) ؟
نَشاوَى . . مِثْلُ رائِيهِنَّ بِالإِعْجابِ نَشْوانُ (١٢)
يُباكِرْنَ رُبُوعَ الأُنْسِ حَيْثُ الحُبُّ أَلْحانُ
فَيا عاشِقَ دُنْياهُ هُنا الدُّنْيا . هُنا الدُّنْيا !

* * *

أَغانٍ وأَغارِيدُ لَها يَطْرَبُ مَحْزُونُ
كَسَجْعِ الطَّيْرِ في الأَيْكِ يُناغِيهِنَّ « قانُونُ » (١٣)
تُثِيرُ الرُّوحَ بِالشَّدْوِ كَما يُنْشَرُ مَدْفُونُ
تُغَنِّيها الأَمالِيدُ كما اسْتَضْحَكَ مَفْتُونُ
فَيا عاشِقَ دُنْياهُ هُنا الدُّنْيا . هُنا الدُّنْيا !

* * *

لَدَيْها مُتْعَةُ السَّمْعِ وَفِيها شَهْوَةُ العَيْنِ

---

(١٠) غض : طري ناضر . ــ وضا : مقصور وضاء (بضم أوله) ، أي : وضيء .
(١١) الخافق : القلب .
(١٢) نشاوى : سكارى .
(١٣) الأيك : الشجر الملتف الأغصان ، المتشابك .

تَعالىَ (اللهُ) . . ما أقْـدَرَ أنْ يَجْمَعَ حُسْنَيْنِ !
ومـا أحْسَـنَ أنْ تَلْتَـذَّ بِاثْنَيْـنِ شَهِيَّيْـنِ !
بَرِيئَيْـنِ . . بِـلا إِثْمٍ ، جَمِيلَيْـنِ . . بِلا شَيْنِ !
فَيا عاشِقَ دُنْيـاهُ هُنا الدُّنْيا .. هُنـا الدُّنْيا !

* * *

حَياةٌ . . لَمْ يُنَغِّصْهـا سِوَى ذِكْرِي لأوْطـاني
أَرَى (البُسْفُـورَ) بَسّامـاً فَأَبْكي ثَغْرَ (بُغْـدانِ) !(١٤)
نَبا عَـنْ أُفْقِهـا الحُسْنُ ، وَلَمْ تَنْعَمْ بِعُمْـرانِ (١٥)
كَأَنْ لَمْ تَكُ في الدَّهْـرِ جَمالَ العالَمِ الفانـي !
فَيا شِقْـوَةَ (بَغْـدادَ) إذا لَمْ تُشْبِهِ الدُّنْيـا ! !

٩ / ١٩٣٢ م

---

(١٤) بغدان : من اسماء (بغداد . . مدينة السلام) مسقط راس صاحب الديوان وآبائه واجداده .
(١٥) نبـا : اعرض ونفر .

باريس .. من مشارف السماء

إلى أُفُقٍ أبْهَى مِنَ « الطَّيْفِ » ألْوانا
طَرِبْتُ ، وناغَيْتُ الأَمانِيَّ نَشْوانا (١)
كَأَنَّ الهَوَى الظَّمْآنَ بَيْنَ جَوانِحي
إلَيْهِ ، من التَّبْريحِ يُلْهِبُ نِيرانـا (٢)
تَعَشَّقَتْهُ أُذْناً ، وَكَمْ هامَ ذُو هَوىً
على السَّمْعِ ، وَاسْتَشْرَى بِهِ الشَّوْقُ طُغْيانا (٣)
رُؤًى ، مِثْلُ رَيْعانِ الشَّبابِ نَضارَةً ،
وأَطْيافِ أَحْلامِ الكَواعِبِ أَزْيانا ، (٤)
تَمُورُ على عَيْنِي نَشاوَى نَواعِساً
وتَهْمِسُ في أُذْنِي غِناءً وَأَلْحانـا (٥)

* * *

سَمَوْتُ ، وَأَجْوازُ السَّماءِ مَسالِكِي
إليهِ ، أُجارِي الشَّمْسَ في السَّبْحِ إمْعانا ، (٦)

---

(١) الطيف (هنا) : قوس قزح وألوانه . ــ ناغيت : حادثت متلطفا .
(٢) الجوانح : الضلوع القصيرة مما يلي الصدر . ــ التبريح : الشدة والجهد.
(٣) هام : تحير واضطرب وذهب كل مذهب . ــ استشرى : عظم وتفاقم .
(٤) ريعان الشباب : أوله . ــ النضارة : الحسن والاشراق . ــ الكواعب : الشواب اللواتي كعبت ثديهن (بضم أوله وكسر ثانيه وتشديد يائه) . ــ الأزيان : جمع زين ، وهو كل مايزين .
(٥) تمور : تموج .
(٦) أجواز السماء : أوساطها .

على مَرْكَبٍ . . لِلطَّيْرِ فيهِ مَشابِهٌ :
جَناحاً ، وَمِنْقاراً ، وَذَيْلاً ، وجُثْمانا

طَوَى مِنْ « بِساطِ الرِّيحِ » ما شاعَ ذِكْرُهُ
وما صَنَعَتْ في الدَّهْرِ (جِنُّ سُلَيْمانا) !

عُقابٌ مِنَ الفُولاذِ . . إنْ هِيَ دَوَّمَتْ
أخافَتْ نُسُوراً في السَّماءِ وعِقْبانا (٧)

تَشُقُّ سَماءً ، لا عُباباً ، ولا ثَرًى
وتَقْطَعُ رِيحاً ، لا رِمالاً وكُثْبانا

كأنَّ الضِّرامَ المُسْتَكِنَّ بجَوْفِها
مَواجِدُ قَلْبٍ هاجَهُ الشَّوْقُ أشْجانا (٨)

شَأَى سَبْحُها وَهْمَ الظُّنُون ، وجاوَزَتْ
صَدَى الصَّوْتِ وَشْكَ اللَّمْحِ خَطْفاً وإيذانا (٩)

إذا هِيَ زَفَّتْ ، ظَنَّها السَّفْرُ رَنَّقَتْ
سُكُوناً ، وشَدَّتْ في ذُرا النَّجْمِ أرْسانا (١٠)

وما آدَها بُعْدُ المكانِ ، ولا شَكَتْ
مِنَ السَّيْرِ إعْياءً يَخُونُ ، وإدْمانا (١١)

* * *

(٧) دومت : حلقت في طيرانها .
(٨) الضرام : لهب النار .
(٩) شأى : سبق .
(١٠) زفت : أسرعت . ــ السفر : المسافرون . ــ رنقت : دارت في مكانها ولم تسر . ــ الأرسان : الحبال ، الواحد رسن ، بفتحتين .
(١١) ما آدها البعد : مابلغ منها المجهود .

دَنَتْ ، وأصِيلُ اليَوْمِ في عُنْفُوانِهِ
وقَدْ رايَلَتْ في ضَحْوَةِ اليَوْمِ (بَغْدانا)[11]
أطَلَّتْ على (باريسَ) ، والفِكْرُ ساهِمٌ
يُشَكِّكُ فيما تُبْصِرُ العَيْـــنُ إعْلانا [12]
أ (باريسُ) في مَرْأَى العُيُونِ تَبَرَّجَتْ ؟
أمِ العَيْنُ قَدْ زاغَتْ على البُعْدِ إنْسانا؟ [13]
بَلَى ! هاذهِ (باريسُ) تَسْبَحُ في السَّنا
يُغازِلُ مِنْها (السَّيْنُ) حَسْناءَ مِفْتانا [14]
بَدَتْ تَحْتَنا ، وَالعَيْنُ بِالعَينِ تَلْتَقِي ،
وتُبْصِرُ مالا يَبْلُغُ الوَهْمُ أحْيانـــا :
زُمُرُّدَةً ، ياقُوتَةً . . تَحْتَ ساطِعٍ
مِنَ الشَّمْسِ أذْكَتْهُ الأصائِلُ عِقْيانا [15]
تَمَوَّرُ مِنْ فَرْطِ التَّوَهُّجِ رَوْنَقاً
تَبَدَّى بِهِ وَجْهُ الطَّبِيعَةِ جَذْلانا [16]
تَألَّقَ كالإفْرِنْدِ . . ماجَ رُواؤُهُ ،
فشَعْشَعَ أطْيافاً ، ومازَجَ ألْوانـــا [17]

---

(١٢) ساهم : متغير عن حاله .
(١٣) انسان العين : ناظرها .
(١٤) السين : نهر باريس .
(١٥) العقيان : الذهب .
(١٦) تمور : تتمـور ، أي تتمـوج وتضطرب . ــ تبـدى : تضعيف بـدا .ــ جذلان : فرح .
(١٧) الافـراد : مـا يلمـح فـي صفحـة السيف من اثـر تمـوج الضـوء . ــ الرواء : ينظر في / ص ٥٢ . ح ٤ .

إذا أخذتْهُ العينُ ، يَخطفُ برْقُهُ
سَناها ، ويُضْنيها لِحاظاً وأجفانــا (١٨)

• • •

ترامتْ على ضاحي السُّهول ِ خمائلاً
تَرُدُّ حسيراً ، سابِحَ الطَّرْف ِ ، وَسْنانا(١٩)
لعَلّ مَداها ، والعُيونُ حَواسرٌ ،
يُنالُ خيالاً ، أوْ يُقرِّبُ حِسْبانــا
فَراديسُ حُوٌّ ، كالحَريرِ .. مُنَشَّراً
مُلاءٌ ، كَوَهّاجِ الكَواكِبِ مُزْدانا (٢٠)
تَلُفُّ حَناياها جَداولَ فِضَّــةٍ
وتَحْوي ثَناياها حَدائِقَ أفْنانــا
تَكادُ مِنَ السَّرّاءِ مِنْ فَرْطِ ريِّها
تُناغِمُ شَدْوَ الطَّيْرِ سَجْعاً وإرْنانـا
رَبَتْ زَهَراً غَضّاً ، ورَطْباً ، ومُجْتَنَى
وفاكِهةً شَتَّى ، وتيناً ، ورُمّانــا (٢١)
وعانَقَ فيها الأَيْكُ أيْكاً شَبيهَهُ ،
وراقَصَ فَيْنانُ الذَّوائبِ فَيْنانــا (٢٢)
وماجَتْ بِعَيْنَي حَيْثُما دارَ ناظري
مَفاتِنُ مِثْلُ الغيدِ عَرَّيْنَ أبْدانــا

---

(١٨) يضنيها : يجهدها ويكلها .
(١٩) حسير : كليل . ــ وسنان : آخذ في الوسن ، اي النعاس .
(٢٠) حو : خضر ضاربات الى السواد من فرط الري . ــ الملاء : الملاحف .
(٢١) ربت : زادت ، ونمت . ــ غض : طري ناضر .
(٢٢) الأيك : الشجر الكثير الملتف الأغصان . ــ فينان الذوائب : طويلها .

تَخايَلْنَ زُهْراً ، كَالشُّمُوعِ تَأَلَّقَتْ
فَأَشْمَسَ مِنْها اللَّيْلُ كَالصُّبْحِ ضَحْيانا (٢٣)
مَرِحْنَ قُدُوداً ، فاسْتَثَرْنَكَ خاطِراً !
و ثُرْنَ نُهُوداً ، فَاسْتَبَحْنَكَ وِجْدانا !

* * *

وبَيْنَ الرِّياضِ الضَّاحِكاتِ مَباسِماً
جَرَى (السِّينُ) مَفْتُوناً بِهِنَّ وفَتَّانا
جَرَى بِنَثِيرِ الماسِ رَقْراقُ مائِـهِ
وصَفَّقَ جَذْلانَ الأَسِرَّةِ سَكْرانا (٢٤)
تَحَوَّى بِمَجْراهُ شَمالاً ويَمْنَـةً
كَما أَبْصَرَتْ عَيْناكَ في السَّهْلِ ثُعْبانا (٢٥)
وهامَ فُتُوناً هاهُنا ثُمَّ هاهُنــا
كَما هامَ ذُو عِشْقٍ تَدَلَّهَ وَلْهانـا (٢٦)
تَعَشَّقَها صَبّاً ، ومالَتْ حَبِيبَـةً ،
وَبَعْضٌ عَلى بَعْضٍ تَعَطَّفَ ظَمْآنا

* * *

وَحَفَّتْهُ أَمْثالُ البُدُورِ زَواهِـراً
حَوالِمَ في شَطَّيْهِ أُنْساً وسُلْوانـا ،

---

(٢٣) اشمس منها الليل : صار منها كالنهار طلعت شمسه . ــ الضحيان : البارز الوضاح .
(٢٤) الأسرة : خطوط الوجه والجبهة .
(٢٥) تحوى : استدار كالحية . ــ الثعبان : ذكر الحيات .
(٢٦) تدله : تحير . ــ الولهان : الذاهب العقل .

دَساكِرُ بِيضٌ ، شارِعاتٌ مَسالِكاً
يُنافِسُ مَيْدانٌ لَدَيْهِنَ مَيْدانــا (٢٧)

وناغَتْ حِفافَيْهِ القُصُورُ عَرائِساً
بَهَرْنَ وُجُوهاً مُشْرِقاتٍ وأَرْدانــا (٢٨)

شَبِعْنَ نَعِيماً ، وارْتَوَيْنَ مَباهِجــاً ،
وَفِضْنَ حُبُوراً مُسْتَنِيراً وَغُنْيانا

تُطِلُّ عليه ضاحِكاتٍ لِضاحِــكٍ
كما تَتَلَقَّى الغِيدُ في العُرْسِ وِلْدانــا

تَرَى مَنْظَراً . . ما تَنْظُرُ الدَّهْرَ بَعْدَهُ
أَحَبَّ وَأَحْلَى منهُ في العَيْنِ رَيْعانا (٢٩)

* * *

تَمَلَّيْتُ حُسْناً . . لَوْ تَمَثَّلْتُ (عَبْقَراً)
لَمّا كانَ إلّا دُونَ سِيماهُ إحْسانــا (٣٠)

يُظَنُّ خَيالاً طافِياً ، لا حَقِيقَـــةً
ويُحْسَبُ حُلْماً ، لا وُجُوداً وعُمْرانا

وما الشِّعْرُ إلّا لَمْحَةٌ مِن خَيالِـــهِ
وأَلْوانِهِ ، معنًى وسِحْراً وأَوْزانــــا

سَبانِي على نَأْيِ العِيانِ ، وَكُلَّما
دنا كان في عَيْنَيَّ أَجْمَلَ أَعْيانــــا .

---

(٢٧) الدساكر : القصور ، والقرى العظام .
(٢٨) ناغت : حادثت نغيا ، اي بكلام لا يفهم . ـ حفافا الشيء : جانباه .
(٢٩) الريعان : اول الشيء وأفضله .
(٣٠) تمليت حسنا ، اي عشت معه ملاوة من الوقت وتمتعت به . السيما : العلامة يعرف بها حال الانسان او الشيء ، وفي التنزيل العزيز : (تعرفهم بسيماهم) .

تَخَيَّلْتُ إِذْ أَمعَنْتُ فيهِ تَمَلِّياً
كَأَنّيَ بَيْنَ السُّحْبِ أَحْلُمُ يَقْظانا[٣١]
نَعَمْ . ! وَوَدِدْتُ الدَّهْرَ أَنّيَ طائِرٌ
على أُفْقِهِ النَّشْوانِ أَنْظُرُ نَشْوانـا !

• • •

رُوَيْداً ، عُقابَ الْجَوِّ . . لا تَهْبِطي بِنا
وَإِنْ حَنَّ قَلْبي لِلْمَنازِلِ لَهْفانــــا
قِفي . رَنْقِي فَوْقَ الْمَشارِفِ إِنَّما ،
لأَمْثالِ هاذا السِّحْرِ تَعْشَقُ دُنْيانا[٣٢]
دَعيني أَنَلْ مِنْ جُمْلَةِ الحُسْنِ شَهْوَتي
فَقَدْ عَزَّ مَشْهُوداً جَلِياً وعُرْيانا !
إذا لم تَنَلْ نَفْسي مِنَ الحُسْنِ رِيَّها ،
فَفِيمَ اقْتِحامِي الْجَوَّ ناراً و « بُرْكانا» ؟
تَجاهَلْتُ دُونَ الحُسْنِ كُلَّ عَظيمَةٍ ،
فَطِرْتُ إلى مَأْواهُ حُبّاً وتَحْنانــــا

• • •

سَيَمْثُلُ في عَيْنَيَّ ، ما عِشْتُ ، مائِداً
رُواءٌ ، ويَحْيا في ضَميرِيَ غَيْسانا[٣٣]

(٣٣) ـ المائل . ـ الرواء ينظر في ص ٥٣ . ـ الغيسان : حدة الشباب واوله ورفاهته وطيب عيشه .
(٣١) رنقي : ينظر البيت .
(٣٢) المشارف : الأعالي .

تُساقِينيَ الذِّكرَى هَواهُ ، فَأَنْثَني
وَقَدْ زُحْتُ مِنْ سُقْيا الصَّبابَةِ رَيّا نا

إذا شِئْتُ . . ناجاني خَيالاً وصُورَةً
وإنْ شِئْتُ ناغاني صَفِيّاً ونَدْما نا ،(٣٤)

١٢ / ١٤٠١ هـ
١٠ / ١٩٨١ م

* * *

---

(٣٤) الصفي : الحبيب المصافي . ـ الندمان : النديم .

الباب الخامس

مجد وعناوين

ابو فـــراس الحمداني ..

الأمير الشاعر الفارس المجاهد

« اعتزمت الجمهورية العربية السورية في عام ١٩٦٢ أن تحتفل – في (حلب) – بذكرى الأمير الشاعر الفارس المجاهد : ابي فراس الحارث بن سعيد الحمداني (٣٢٠ – ٣٥٧ هـ) ، تمجيداً للفروسية والبطولة التي تجلت عنده في مجاهدته (الروم) مع ابن عمه الأمير سيف الدولة الحمداني امير حلب ، واحياء لقيم الشعر العربي الحي الأصيل الذي برع في قرضه وفاق .. ودعت الجمهورية العراقية الى مشاركتها ، فندبت صاحب الديوان لتمثيلها في هذا الموسم القومي .. فلبى الدعوة ، واستلهم من سيرة هذا الشاعر الفتى العظامي العصامي هذه القصيدة فيه . ثم ما كاد يتأهب للرحلة الى (حلب) حتى تلقت الجمهورية العراقية من الجمهورية العربية السورية برقية عجلى تشعرها بالغاء هذا الاحتفال ، اذ حدثت في مدينة حلب اضطرابات سياسية قضت بهذا القرار»

*

سَلامٌ . سَلامُ الهَـوَى والنَّسَبْ

على (حَلَبٍ) ، والعُلا ، و (العَرَبْ) !

على البَلَدِ الحُرِّ في أمْسِهِ ،
وفي يَوْمِهِ ، والغَدِ المُرْتَقَبْ
على الدَّمِ . . خَضَّبَ ساحاتِهِ ،
على شُهَداءِ الجِهادِ النُّجُبْ
على مَجْدِ تاريخِهِ العَبْقَرِيِّ
ومَجْدٍ يُسَلْسِلُهُ في العَقِبْ
على الشِّعْرِ والأَدَبِ المُسْتَطابِ
وما أبْدَعَتْ مِنْ فُنُونِ (حَلَبْ)
على العِلْيَةِ الزُّهْرِ مِنْ (يَعْرُبٍ)
حُماةِ البَيانِ ، رُعاةِ الأَدَبْ
على النَّشَأ الصّاعِدِ المُسْتَعِزِّ
بِمَجْدِ الأُبُوَّةِ والمُنْتَسَبْ[1]
ومَنْ آمَنُوا بِاللِّسانِ المُبِينِ
بِهِ أَنْزَلَ (اللهُ) خَيْرَ الكُتُبْ
ومَنْ جاهَدُوا في سَبِيلِ العَلاءِ
وَجَدُّوا لِغاياتِهِمْ في الطَّلَبْ

• • •

. . نَماهُ (العِراقُ) هَوًى ، ما أرَقَّ
وأنْدى ! وطابَ شَذاً ، ما أحَبّ ![2]

---

(١) النشأ ، بفتح الشين : جمع النشء .

(٢) نماه : رفعه ، وأعلى شأنه .

نُفاحُ خَمائِلِهِ إذْ تُطَلُّ ،

ورَيَّا أزاهِيرِهِ في الرَّحَبْ (٣)

شَقِيقٌ . يُعِزُّ أشِقّاءَهُ ،

ويَصْفُو لَهُمْ رائِقاً كالْحَبَبْ (٤)

على (رافِدَيْهِ) كِرامُ الأنَامِ

على الحُبِّ قَدْ جُبِلُوا والرَّغَبْ (٥)

أعارِيبُ .. ما أصْلُهُمْ في الأُصُولِ

مَشُوباً ، ولا دِينُهُمْ مُجْتَلَبْ (٦)

هَواهُمْ هَوَى (العَرَبِ) الأكْرَمِينَ

طِماحٌ لِتَوْحِيدِ شَمْلِ (العَرَبْ) !

يَرَوْنَ التَّحَرُّرَ أصْلَ الحَياةِ ،

فَإمّا الحَياةُ ، وَإمّا الشَّجَبْ (٧) !

.. إلَيْكُمْ يَمُدُّونَ أيْمانَهُمْ

بِأمْضَى سِلاحٍ ، وأقْوَى سَبَبْ

لِدَفْعِ الخُطُوبِ ، وكَشْفِ الكُرُوبِ ،

وسَدِّ الثُّغُورِ ، وحِفْظِ النَّشَبْ (٨)

وَإنَّ (العِراقَ) شَقِيقُ (الشَّآمِ)

وَإنَّ الثَّرَى واحِدٌ والنَّسَبْ

---

(٣) النفاح : الطيب الذي ترتاح له النفس . ـ تطل : تمطر .
(٤) الحبب : الطل يصبح على النبات .
(٥) الرافدان : دجلة والفرات .
(٦) مشوب : مختلط بغيره مما يفسده .
(٧) الشجب : الهلاك .
(٨) الثغور : المواضع التي يخاف هجوم العدو منها . ـ النشب : المال .

وما ثَمَّ شَعْبانِ ، بَلْ أُمَّـــــةٌ
إذا انْشَعَبَ النَّاسُ لا تَنْشَعِـــبْ !

• • •

أأُمَّ (العَواصِمِ) . . ماضٍ عَرِيـــقٌ
يُسامِي بِكِ الشُّهْبَ ، راعَ الشُّهُـــبْ [٩]
صَحائِفُهُ الزُّهْـــرُ ، لَوْ أُلْقِيَـــتْ
على ألَقِ الشَّمْسِ ، زادَتْ لَهَـــبْ !
خَيالٌ تَنَقَّلَ فَوْقَ القُـــــرُونِ
وعَيْنٌ تَراهُ ، وقَلْبٌ يَجِـــبْ ! [١٠]

• • •

حَمَلْتَ عَنِ (العُرْبِ) عِبْءَ الْجِهــادِ
وما انْـآدَ كاهِلُكَ المُنْتَصِبْ ! [١١]
سَرايا (عَلِيٍّ) وفُرْسانُـــــــهُ
عليهــا تَجافِيفُهـــا واليَلَـــــبْ [١٢]

---

(٩) ام العواصم : حلب . والعواصم : اسم اطلق قديما على حصـون موانع ، وولاية تحيط بها ، بين حلب وانطاكية . كان قد بناها قوم ، واعتصمـوا بها من الأعداء ، وأكثرها في الجبال ، فسميت بذلك .
(١٠) يجب : يضطرب .
(١١) انآد : انثنى واعوج ، مطاوع آده . ـ الكاهل ، من الانسان : مابين كتفيه ، او موصل العنق في الصلب .
(١٢) السرايا : جمع السرية ، وهي قطعة من الجيش . ـ علي : هو الأمـير سيف الدولة الحمداني ، امير حلب ، وقريع الروم (٣٠٣ ـ ٣٥٦هـ) . واخبار غزواته للروم ووقوفه بوجههم ، من مفاخر العرب في تاريخهـم القديم . وقد كان الى ذالك حفياً بالعلم والأدب والشعر والحكمة ، ومكرماً للعلماء والأدباء والشعراء . وقد اجتذبتهـم مكرماته اليه من كل صوب ، وحفلت ايامهم بالمآثر ، فكان ممدحاً ، وفي طليعة مادحيه المغرقين في مدحه ابو الطيب المتنبي . ـ التجافيف : جمع التجفاف ، وهو مايلبسه المحارب كالدرع . ـ اليلب يخرز بعضها على بعض ، تلبس على الرؤوس خاصة .

كـأنَّ عَـوالِيَ مُرَّانِهـا
وبيضَ الصَّوارِمِ ، غِيلٌ أشِـبْ (١٣)

تَشُقُّ إلى (الرُّومِ) قَلْبَ (الـدُّرُوبِ)
وتَنْشُرُ في (الرُّومِ) رُوحَ الـرَّهَبْ (١٤)

إذا أبْصَرَ (الرُّومُ) راياتِهـا
دَرَى (الرُّومُ) أنَّ المنَايـا كَـثَـبْ (١٥)

وكَمْ في الثَّنِيَّاتِ بَيْنَ (الـدُّرُوبِ)
حُرُوبٌ تُشِيبُ وبَيْنَ (العَقَـبْ) (١٦)

تَلَقَّى الشَّقِيُّونَ فيهـا العِقَـابَ
وغَصَّ (الدُّمُسْتُقُ) مِنْها وتَـبّ (١٧)

ولَيْسَ (الدُّمُسْتُقُ) شَرْوَى (عَـلِيٍّ)
وأنَّي يُقاسُ بِصَقْرٍ خَـرَبْ ؟ (١٨)

وأرْباضُ (خَرْشَنَةٍ) ، و (اللُّقَـانُ) ،
و (آلِسُ) ، لِلْمَوْتِ أوْ لِلسَّلَـبْ (١٩)

---

(١٣) المران : الرماح الصلبة . ــ الغيل : الشجر الكثير الملتف ، يستتر فيه . ــ الأشب : الذي اشتد التفافه ، وكثر حتى لامجاز فيه .
(١٤) الدروب (هنا) : المداخل الى بلاد الروم .
(١٥) الكثب : القرب .
(١٦) الثنايا : جمع ثنية ، وهي كل عقبة في الجبل مسلوكة . ــ العقب : جمع العقبة ، وهي طريق في الجبل وعر ، أرادبها سلسلة جبال « طوروس » .
(١٧) الدمستق : قائد رومي . ــ تب : خسر ، وهلك .
(١٨) الشروى : المثل . ــ الخرب : ذكر الحبارى ، وفي أمثال العرب : « ما رأيت صقراً يرصده خرب » يضرب للشريف يقهره الوضيع .
(١٩) خرشنة واللقان : من البلاد الرومية التي غزاها سيف الدولة . ــ آلس : نهر في بلاد الروم . ــ الأرباض : ما حول المدن ، واحدها ربض (بفتحتين) . ــ السلب : ما يسلب .

وما عرفَ (العُرْبُ) غيرَ اللقاء
وما عرفَ (الرُّومُ) غيرَ الهرَبْ!

* * *

أدارَ (عليٍّ)! عليكِ السلامْ،
وسقْياً لعصرِكِ بينَ الحِقَبْ،
بنيتِ فأعليتِ رُكْنَ الحياةِ،
وسُدْتِ فأعليتِ شأنَ (العرَبْ)!
وصِرْتِ المثالَ البعيدَ المنالِ
وأعجبَ ما نِلْتِ حتّى العجَبْ!
عُلُوٌّ كما تبتغي المَكْرُماتُ،
وعِزٌّ كما يشتهيهِ الحسَبْ
ومَنْ غرَسَ المجدَ والصالحاتِ
جنَى الحمْدَ أطيبَ ما يُكتسَبْ!
وما المُلْكُ ثرثرةٌ واعتداءٌ
ولاكِنْ صلاحٌ، وغرْسٌ، وحبّ

* * *

إليكِ وفيكَ انتمَى وازدهَى
ولاذَ بقصرِكِ هاذا الأدبْ (٢٠)
وما كانَ قصراً، ولاكنَّهُ
خليّةُ فضْلٍ جناها الضَّرَبْ (٢١)

---

(٢٠) لاذ: التجأ. وقد كان قصر سيف الدولة مثابة الشعراء والفلاسفة والنحاة: كالمتنبي، والرفاء، والنامي، والببغاء، والواواء، وأبي فراس، والفارابي الفيلسوف، وابن خالويه النحوي، وغيرهم.

(٢١) الضرب: العسل الأبيض الغليظ.

تَلاقَتْ فُحُولٌ على بَهْوِهِ
ولاقَهُمْ رَبُّهُ المُعْتَصِبْ (٢٢)
يَجُودُ عَلَيْهِمْ سَخِيَّ اليَدَيْنِ
ويُضْفِي عَلَيْهِمْ جَلالَ الرُّتَبْ
وكَمْ نابِهٍ خامِلٍ عَيْشُهُ ،
حَباهُ الرَّفاهَةَ بَعْدَ التَّرَبْ (٢٣)
وبارَى القَرِيضُ لَدَيْهِ القَرِيضَ
وَرَنَّتْ جَوانِبُهُ بِالخُطَبْ
وأسْنَى (أبا الطَّيِّبِ) العَبْقَرِيَّ
فَأَنْعَلَ أفْراسَهُ بالذَّهَبْ ! (٢٤)
تَجارَى العَطاءُ وسِحْرُ القَرِيض ،
وكانَ لِغَيْرِهِما المُكْتَسَبْ ،
وكانَ الخُلُودُ نَصِيبَ القَرِيضِ ،
وما نِيلَ مِن ذَهَبٍ قَدْ ذَهَبْ !
فَأَيُّهُما كانَ أسْنَى سَناً ؟
أمَنْ سَيَّرَ الشِّعْرَ ، أمْ مَنْ وَهَبْ ؟
وما خَطَرُ الشِّعْرِ .. لَوْلا الفِعالُ
صَدَقْنَ ، فَصَدَّقْنَهُ ، فَانْتَسَبْ ! ؟

---

(٢٢) لاقهم : امسكهم .
(٢٣) الترب : الافتقار .
(٢٤) أسناه : رفع شانه ، وفي البيت تلميح الى قول المتنبي يذكر افضال الأمير سيف الدولة عليه :
تركت السرى خلفي لمن قل ماله
وانعلت افراسي بنعماك عسجدا

* * *

عليكَ الرِّضا ، يا زَمانَ الفُحُــــولِ ،
وهاذا أوانُ الرِّضـــا ، لا الغَضَــبْ !

ورَعْياً لِذِكْراكَ ، زَيْنَ الشَّبـــابِ ،
قَرينَ البَيانِ قَريـــعَ النُّــوَبْ [25]

فَتَى (آلِ حَمْدانَ) بَلْ (يَعْرُبِ) ،
ومَنْ ذا أحَــقُّ بِهــــاذا اللَّقَــبْ ؟

تَكَرَّمْ لِلشِّعْرِ ، أَمْ لِلْكَمـــا
لِ ، أَمْ لِلبُطُولَةِ ، أَمْ لِلنَّسَــــبْ ؟

أجَلْ فَتىً جَمَعَ المَنْقَبـــاتِ ،
وأغْـــلى مَعانِيَهـــا ، وٱحتَسَبْ . [26]

لَئِــنْ رَفَعَتْ (حَلَبٌ) رايَـــةً
لَهُ اليَومَ فَوْقَ سَوامِي القُبَــبْ ،

لَقَدْ كانَ بَيْنَ الخَميسِ اللِّــواءَ ،
وكانَ المُقَدَّمَ بَيْنَ النُّخَــبْ [27]

وكانَ لَها السُّورَ ، والقَلْعَـــةَ الـ
حَصِينَةَ ، والدِّرْعَ عِنْدَ الكُــرَبْ

فَتىً . . دَهْرُهُ لِلْوَغَى والهَــوَى ،
ولِلصَّيْدِ ، والأدَبِ المُنْتَجَــبْ [28]

---

(٢٥) النوب : النوازل والمصائب .
(٢٦) احتسب : يقال احتسب بكذا أجراً عند الله : أي اعتده ينوي به وجه الله.
(٢٧) الخميس : الجيش الجرار ، ذو خمس فرق : المقدمة ، والقلب ، والميمنة ، والمسرة ، والساق .
(٢٨) المنتجب ، بالجيم : المتخير والمصطفى .

لقَدْ عَلِمَ (الرُّومَ) كَيْفَ الطِّعَـــانَ
يَكُونُ إذا ما بَلاءٌ حَـــــــزَبْ (٢٩)
لَئِنْ طالَ في سِجْنِهِمْ أَسْــــرُهُ
لَقَدْ طالمَا ساءهُـــمْ واحْتَـرَبْ (٣٠)
وكَمْ شَقَّ أَحْشاءَ أَوْطانِهِـــــمْ
وراعَ الدُّرُوبَ وأَفْنَى السَّــــرَبْ (٣١)
وجَزَّ نَوَاصِيَ فُرْسانِهِـــــــمْ
وجَرَّ عَثانِينَهُمْ واخْتَلَـــــبْ (٣٢)
شَدِيدٌ على جَمَـــراتِ الكُمـــاةِ
ضَعِيفٌ إزاءَ الغَـــوانِي العُـــرُبْ (٣٣)
سَباهُ هَواهُـــنَّ وَهْــوَ العَزِيــزُ ،
فَأَضْرَعَهُ ، فَاضْطَنَى ، فَانْتَحَـــبْ (٣٤)

---

(٢٩) حزبه البلاء : نابه واشتد عليه .
(٣٠) جرح ابو فراس في احدى معارك الروم ، في سنة ٣٣٥ هـ ، فأسروه ، وسجنوه في القسطنطينية اعواماً ، ثم فداه سيف الدولة بأموال عظيمة، غير ان خاتمة حياته كانت على يد احد اتباع سعد الدولة بن سيف الدولة، وكان أبو فراس خال سعد الدولة ، وكان بينهما تنافس .
(٣١) السرب : الجماعات ينسلون من معسكر فيغيرون ويرجعون .
(٣٢) جز : قطع . ـ النواصي : جمع الناصية ، وهي شعر مقدم الراس . وقد كانت العرب في الجاهلية تفعل ذلك بالأسرى ـ انظر « بلوغ الأرب في أحوال العرب». ـ العثانين : جمع العثنون ، وهو مانبت على الذقن وتحته سفلا . ـ اختلب : قطع .
(٣٣) جمرات : اهل منعة وشدة . ـ الكماة : جمع الكمي ، وهو الشجاع المقدام الجريء ، ولابس السلاح . ـ العرب : جمع العروب ، وهي المراة المتحببة الى زوجها .
(٣٤) اضرعه : اخضعه وذلله . ـ اضطنى : مرض ونحل جسمه . ـ انتحب : أعلن بالبكاء .

وسالَتْ علَى الطِرْسِ أنْفاسُهُ

سَبائِكَ مِنْ لَهَبٍ أوْ شَنَبْ (٣٥)

صَدَى حَرْبِهِ ، أوْ صَدَى حُبِّهِ ،

تَفَجَّرَ مِنْ قَلْبِهِ ، فانْسَرَبْ

وَراءَ مَبانِيهِ نَفْسُ الكَرِيمِ ،

ونُبْلُ الشَّرِيفِ ، ورُوحُ الطَّرِبْ

رَحِيقٌ ، ولاكِنْ يُصِحُّ العُقُولَ ،

ولَيْسَ كَذاكَ رَحِيقُ العِنَبْ (٣٦)

أصِيلُ المَشاعِرِ ، حالِي اللُّغاتِ ،

نَبِيلُ المَعانِي ، قَشِيبُ الأَهَبْ (٣٧)

وما طَرَّبَتْ شادِياتُ اللُّحُونِ

بِأَعْذَبِ مِنْ شِعْرِهِ المُنْتَخَبْ

كنَبْعِ الصَّفا . راقَ سَلْسالُهُ ،

وذَوْبِ المُدامِ . . جرَى وانْسَكَبْ (٣٨)

تَدِرُّ بِهِ فِي الوَرِيدِ الحَياةُ ،

ويَنْفِي عَنِ المُرْهَقِينَ الوَصَبْ (٣٩)

* * *

---

(٣٥) الشنب : جمال الثغر وصفاء الأسنان ، استعاره لحسن غزله وتشبيبه .
(٣٦) الرحيق : الخالص الصافي من الخمر .
(٣٧) قشيب : جديد . ـ الأهب : بفتحتين : جمع الاهاب ، وهو الجلد .
(٣٨) الصفا : الحجر الأملس . ـ المدام : الخمر .
(٣٩) الوريد : كل عرق يحمل الدم الأزرق من الجسد الى القلب . ـ الوصب : الوجع ، والفتور في البدن .

أَجارَ الأَواخِرِ .. هاذا القَدِيم ،
فَهاتِ الجَدِيدَ الَّذِي يُرتَقَب
دَعِ الشِّعْرَ زَمْزَمَةً ، أَوْ رُقىً
بَهِيمَ الخَيالِ ، خَفِيَّ الأَرَبْ !
تَبِيعاً .. مَشاعِرُهُ مُجتَداةٌ
وتَصوِيرُهُ مُختَلىً مُنتَهَبْ [٤٠] !
وَطِرْ في سَماواتِهِ مُفرَداً ،
وَدَعْ خَلْفَكَ السِّرْبَ أَنَّى سَرَبْ [٤١]
وغَرِّدْ بِصَوْتِكَ ، لا تَستَعِرْ
لَهُ وَتَراً عن لَهاهُ اغْتَرَبْ .
رَأَيْتُ المُقَلِّدَ يَحكِي سِواهُ ،
وَلَيْسَ لَهُ ما لَهُ مِنْ كِسَبْ ، [٤٢]
كَزَنجِيَّةٍ ، . راعَها في الضُّحَى
تَبَرُّجُ شَقْراءَ تَحكِي اللَّهَبْ ،
فَجاءَتْ وَقَدْ صَبَغَتْ وَجْهَها
وشَمَّرَتِ الثَّوْبَ فَوْقَ الرُّكَبْ ،
فما ابْيَضَّ أَسوَدُها بِالبَياضِ ،
ومـا بانَ أَقبَحُ مِمّا احتَجَبْ ! !

• • •

---

(٤٠) تبيع : تابع . ـ مختلى : مقطوع ومنزو .
(٤١) السرب : أراد فريق الشعراء . ـ سرب : مضى .
(٤٢) الكسب : جمع كسبة . يقال : انه لطيب الكسب والمكسب والمكسبة ، اي: طيب الكسب ، وهو طلب الرزق .

وما أنا بِالخائِفِ المُسْتَطــــار
على الشِّعْرِ ، والْجيلُ واعٍ أَرِبْ (٤٣)
رَأَيْتُ مَخايِلَ عِنْدَ الشَّبــابِ ،
تُبَشِّرُ أَنَّ الْجَنَــى قَدْ قَــرُبْ
وكَمْ شاعِرٍ بَيْنَهُمْ .. شِعْرُهُ
مَزَاهِرُ ، إرْنانُهــا يَخْتَلِــبْ (٤٤)
خلائِفُ قَوْمٍ ، شَأَوْا في الذَّكاءِ ،
سَيَغْدُو لَهُمْ في السِّباقِ القَصَبْ (٤٥)
وتَزْهُــو بِإِنْشادِهِمْ أُمَّــةٌ ،
وَيَصْحُو نَؤُومٌ ، وَيَرْتاحُ صَبّ
فَحَيَّهَلاً بِالغُصُونِ اللِّــدانِ
وَحَيَّهَــلاً بِثِمــارِ العَــذَبْ ! (٤٦)

• • •

أرَى الشِّعْرَ يُمْرِعُ هــاذا الفُــؤادَ
أَجَدَّ بِهِ رَبُّهُ ، أَمْ لَعِـــبْ ! (٤٧)
وما زاهِرٌ مِن وُجُــوهِ الرَّبِيــعِ
تَضاحَكَ نَوّارُه وَاثْتَشَــبْ ، (٤٨)

---

(٤٣) المستطار : المذعور . ـ الأرب : من له دربة ومهارة وبصر .
(٤٤) المزاهر : جمع المزهر ، وهو العود الذي يضرب به . ـ يختلب : يفتن .
(٤٥) شأوا : سبقوا ، ويقال للسابق : « أحرز قصب السبق » ، وأصله انهم كانوا ينصبون في ميدان السباق قصبة ، فمن سبق اقتلعها واخذها ليعلم أنه السابق .
(٤٦) حيهلا بفلان : ابدأ به وعجل بذكره ، وفي حديث ابن مسعود : « اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر » . ـ اللدان : الرطاب اللينة . ـ العذب : اطراف الأشياء ورؤوسها .
(٤٧) يمرع الفؤاد : يخصبه .
(٤٨) النوار : الزهر . ـ ائتشب : كثر ، والتفت بعضه على بعض .

وأذكى شعاعُ الضحى لونَه
فأشرقَ مثلَ الضحى وآلتهبْ ،
ولا شدوُ صادحةٍ في الرياضِ
رأتْ زهراً ، فتغنّتْ ، عجبْ ،
فأرقصَ أوراقها شدوُها ،
وأسكرَ فيها السواقي الطربْ ،
بأندى على القلبِ من ريّهِ
بلى . . ريُّهُ العذبُ أندى ثغبْ (٤٩)
هوى الروحِ ، تحنو عليه الكؤوسُ
ويزكو شذاهُ بها ما أغبّ (٥٠)

٢١ / ٩ /١٩٦٢م

— * * —

(٤٩) الثغب : ما يذوب من الجمد .
(٥٠) يزكو : ينمو ويزيد . ــ ما : مصدرية ظرفية . ــ اغب : ترك مدة ، ومنه : أغبنا فلان : اتانا غبا ، وقولهم : « زرغبا ، تزدد حبا » .

ابن زيدون ..
شاعر الجمال والغزل العذري

حَيِّهِ مِنْ شاعِرٍ في الغابِرِينْ
عاشَ حَيّاً في قُلُوبِ العاشِقِينْ [1]
شاعِرُ الحُبِّ . . وما أعْظَمَهُ
لَقَباً ، يَحْيا بِهِ في الخالِدِينْ !
شاعِرُ الحُبِّ . . وما الدُّنْيا سِوَى
نَغَمِ الحُبِّ ، وشِعْرِ المُغْرَمِينْ
وبَقاياها . . فُضُولٌ ، مُنْيَتْ
يتَعاطيها نُفُوسُ العالَمِينْ
هَلْ يَرُوقُ العَيْشُ في غَيْرِ هَوًى ؟
أوْ يَرُوقُ العُمْرُ في غَيْرِ حَنِينْ
لا وَدَلِّ الغِيدِ في فِتْنَتِهِ ،
وجَلالِ الحُسْنِ في الخَلْقِ الحَصِينْ !

• • •

جَلَّ ما رَقْرَقَهُ في شِعْرِهِ
مِنْ دُمُوعٍ ، وزَفِيرٍ ، وأنِينْ !
قِطَعٌ مِنْ كَبِدٍ مَقْرُوحَةٍ
صَلِيَتْ في الحُبِّ نِيرانَ الشُّجُونْ [2]

---

(١) الغابر : الماضي .
(٢) صليت النار وبها : احترقت فيها . ــ الشجون : الهموم والأحزان .

وفُؤادٍ مِنْ تَبارِيحِ الضَّنَى
ذاب ، إلّا رَمَقاً لا يَسْتَبِينْ (٣)

قَطَّرَتْهَا شَجَناً أَنْفاسُهُ ،
كَحَنانِ الإِلْفِ ناءاهُ القَرِينْ (٤)

وجَلَتْها فِتَناً أَشْعارُهُ ،
كَرُواءِ السِّحْرِ ، تَسْبِي النّاظِرِينْ (٥)

ضَحِكٌ في أَدْمُعٍ رَقْراقَةٍ ،
وتَعالٍ في خُضُوعٍ مُسْتَكِينْ

نَمَحاتٌ . . تَنْبَرِي واجِفَةً ،
كَوَمِيضِ البَرْقِ ، أَوْ نَبْضِ الوَتِينْ (٦)

مِنْ ضَلالِ النَّفْسِ في حَيْرَتِها
وخِداعِ القَلْبِ بِالوَصْلِ الضَّنِينْ (٧)

يَرْهَبُ الفُرْقَةَ أَنْ تَدْهَمَهُ
ويَخافُ الدَّهْرَ أَنْ لا يَسْتَكِينْ (٨)

بَيْنَ يَأْسٍ مِنْ يَقِينٍ عِنْدَهُ
ورَجاءٍ يَبْتَغِيهِ في الظُّنُونْ

---

(٣) التباريح : الشدائد . ـ الضنى : المرض المخامر ، كلما ظن برؤه نكس . ـ الرمق : بقية الروح .
(٤) ناءاه : باعده .
(٥) الرواء : حسن المنظر في البهاء والجمال . ـ تسبي : تأسر .
(٦) تنبري : انبرى له ، ينبرى : اعترض . ـ الواجفة : الخافقة . ـ الوتين : العرق الشرياني الذي يغذي الجسم بالدم المنقى من القلب .
(٧) الضنين : البخيل .
(٨) تدهمه : تفجؤه وتغشاه .

ما دَرَى الأَمْنَ فُؤادٌ عاشِـــــــقٌ
ساعةً إلّا مَرُوعــــــاً مِــنْ كَمِينْ !

* * *

أيُّ قلبيْنِ إذا ما اجْتَمَعــــــا
وعُيُونٍ تَتَلاقَى بعُيُـــــــونْ !
قِفْ تأمَّلْ خَفَقاتٍ ، نَطَقَــــــتْ
بالهوى ، وأرْنُ إلى السِّحْــرِ المُبِينْ ، (٩)
وتَصَوَّرْ مُبْسِمَيْــــنِ الْتَقَيــــا ،
وعِناقَيْنِ خَدِينـــاً لِخَـــدِينْ ، (١٠)
في أحاديثَ كأنفاسِ الصَّبــــا ،
وشَذا الوَرْد ، ورَقْراقِ المَعِيـــــنْ : (١١)
يَقْطَعانِ الدَّهْرَ في ظِلِّ الصِّبـــا
بَيْنَ لَثْمٍ ، وعِناقٍ ، وأنِيـــنْ
كُلَّما جَدَّ الهوَى ، زادا بِـــــهِ
لَعِباً يُغْرِي ، ولَهْواً ، وحَنِيـــنْ
هَلْ تَرَى مِنْ غِبْطَةٍ ، رَفَّــتْ عــلى
مَشْهَدٍ ، أبْدَعَ يَحْلُــو ويَزِيــنْ ؟
وَقَفَ الدَّهْرُ عليـــهِ ثَمِـــلاً
يَغْبِطُ الإلْفَيْنِ كالصَّبِّ الغَبِيـــنْ (١٢)

---

(٩) ارن : ادم النظر .
(١٠) الخدين : الصديق .
(١١) المعين : الماء السلسال الجاري على وجه الارض .
(١٢) الثمل : السكران . ـ الغبين : المغبون .

لا أخافَ (اللهُ) قَلْباً هائِمـــاً
بِبنات ِ الحُسْنِ مِنْ حُورٍ وعِيـن ْ (١٣)

* * *

يا دُعاءً . . ما آسْتَجابَتْــهُ السَّمـا
لِعَشيقَيْنِ على كَرِّ السِّنيـنْ
لَيْتَهـا في عاشِقَيْ (قُرْطُبَـةٍ)
لَبَّتِ القَوْلِ لِذُلِّ الضّارِعيـنْ (١٤)
إِنَّ ماذاقاهُ في ظِلِّ الهَـوَى
مِنْ أفاوِيقَ حَلَتْ ، عادَ وَزِيـنْ : (١٥)
ضَرَبَتْ أَيْدِي النَّوَى بَيْنَهُمـا ،
والنَّوَى قَتّالَةٌ لِلعاشِقِيـنْ !
النَّوَى ؟ سَلْ بِالنَّوَى مَنْ ذاقَهـا ،
يُزِلِ الشَّكَّ ، ويُخْبِرْ باليَقِيـنْ :
ظَمَـأٌ بَرْحٌ ، وشَوْقٌ دائِـمٌ ،
وجَوَىً يُذْوِي ، وسُقْمٌ ، وجُنُـونْ (١٦)
مالَها طِبٌّ يَواسِيها ، خَـلا
عَوْدَةَ الوَصْلِ قَرِيناً لِقَرِيـنْ (١٧)

*

---

(١٣) حور عين : بيض ، حسان العيون .
(١٤) قرطبة : عاصمة الدولة الأموية في الأندلس . ـ الضارع : الذليل الخاضع .
(١٥) الأفاويق : الأطايب ، جمع الفيقة ، وهي في الأصل اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . ـ الوزين : الحنظل المطحون .
(١٦) ظمأ برح : عطش شديد .
(١٧) يواسيها : يداويها ويصلحها .

يا لِساناً وَقَّعَ الشَّجْوَ الَّـــــــذِي

سَحَـــرَ الدُّنْيا ، و هَــزَّ المُغْرَمِينْ !

وَلَّدَتْ (وَلّادَةٌ) أَنْغامَـــــهُ ،

فَتَناغَــــى بِأَفانِيـــنِ اللُّحُـــونْ (١٨)

قَدْ أَصابَ الحُبُّ مِنْ قَلْبَيْهِمـــــا

عاشِقاً شَهْماً ، ومَعْشُوقاً رَزِيـــنْ !

ماَمشَى الرَّيْبُ إلى قُدْسَيْهِمـــــا ،

وَهَوى النَّفْسِ ٱرْتِيابٌ ومُجُـــونْ (١٩)

يَعْصِمُ النُّبْلُ وَيَحْمِي طُهْـــــرَهُ

بِقُوَى الرُّوحِ ، وبالخُلْـــقِ المَتِينْ .

* * *

يَعْرِفُ الصِّدْقَ أَخُو الصِّدقِ ، فَدَعْ

كَذِبَ الشَّكِّ ، وغَمْزَ الجاهِلِيـــنْ

رُبَّ حُبٍّ كَنَمِيرِ المــــاءِ فـــــي

صَفْوِه : زاكٍ ، وصافٍ ، ومَعِينْ (٢٠)

٢ / ١٩٣٤ م.

---

(١٨) تناغى : تكلم بما يعجب ويسر .
(١٩) المجون : قلة الحياء ، وعدم المبالاة في قول أو فعل .
(٢٠) النمير : الماء الزاكي ، وقيل : الناجع في الري . ــ المعين : العذ الغزير .

ذكرى شاعر الجمال والغزل العذري

في عكــاظ « رباط الفتح »

*

« قررت وزارة الشؤون الثقافية في المملكة المغربية السعيدة في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م ان تحتفل بذكرى ذي الوزارتين بحتـــري الأندلس وشاعر الجمال والحب العـذري : ابي الوليد احمد بن عبدالله بن غالب (ابــن زيدون) المخزومي القرطبـي ، تمجيــداً للسيرة الفاضلة في الحياة ، وبعثاً لمثل الأدب العربي الرفيع ونفحات الشعر الحي الاصيل، تغذى به الثقافة العربية ، وتهذب الأذواق .

وتلقى صاحب الديوان من الوزير الأديب المنشىء الحاج محمد أبا حنيني ــ يرحمــه الله ، كتاباً يدعوه الى مشاركة (المغرب) في احياء هذه الذكرى الكريمة ، فصادفت منه هوى ، فلباه . واستلهم هذه القصيدة مــن روح هذا الشاعر « الشاعر » الخالد ، الذي احب ادبــه وشعره ، واصـــفاه اعجابــه واكباره ، لاكنه عاقته وعكة ألمت به عن السفر الى مرابع الطبيعـة الساحرة في المغــرب السعيد ، فانفذ القصيدة الى الوزيــــر ، فانشدت في الاحتفال ، ونشرت في الكتاب الخاص »

لِمَنِ الحَفْلُ في رَبِيـعِ الزَّمـــــانِ ؟

شَبَّبَ الشِّعْرُ فِيـهِ كالكَــــرَوانِ [1]

نَضَّرَتْ وَجْهَهُ البَشاشَـــةُ والحُسْــــــ

نُ ، وأَسْنَى أَضْواءَهُ القَمَـــــرانِ [2]

رَفَّ (آذارُ) في نَواحِيـــــــهِ وَرْداً

عَبْقَـــرِيَّ الخَيــــالِ والأَلْـــوانِ

*

وَلِمَنْ هـــاذِهِ المواكِــــبُ ، وافَـــتْ

مِنْ قَصِيٍّ مِنَ البِـــــلادِ ودانــــي ؟

مِنْ ضِفافِ (الزُّقاقِ) و (الأبيضِ) الطّـــا

مي إلى مَنْزِلِ العُلا (بَغْـــــدانِ) [3]

قَــد تلاقَـــتْ عَــلى رَحِيـقِ المَـــوَدّا

تِ ، وَمَسْكُوبِ شَوْقِهـــا والحَنـــانِ [4]

---

(١) الكروان ، بفتحتين ، وجمعه : كروان بالكسر والسكون ، وكراوين : طائر طويل الرجلين ، أغبر ، دون الدجاجة في الخلق ، له صوت حسن .

(٢) أسنى الرجل : جعله ذا سناء ، أي : رفعه ، و ــ أسنى النار ونحوها : رفع سناها وضوءها . ــ القمران الشمس والقمر ، من باب التغليب .

(٣) الزقاق : مجاز البحر بين الأندلس والمغرب ، ويعرف اليوم باسم مضيق طارق ، أو مضيق جبل طارق . ــ الأخضر الطامي : البحر المحيط الأطلنطي ، والطامي : الغزير الماء المرتفع المد . ــ بغدان : لغة في بغداد

(٤) الرحيق : الخاص الصافي من الخمر ، وفي التنزيل العزيز : (يسقون من رحيق مختوم) ، و ــ ضرب من المسك ، ومسك رحيق : لاغش فيه ، وحسب رحيق : خالص لا شرب فيه .

حَضَنَتْهــا (الرِّباطُ) في بُهْــرَةِ المُــلْــ
ـلكِ ، وعِزِّ السُّلطانِ والصَّولَجانِ (٥)
دارَةُ الفَتْحِ والحَضــارَةِ والعِلْــــــــ
ـمِ ، وكِبْرِ العُلا ، وزَهْــوِ الأمــاني

*

البَهاليلُ أهْلُهــا ، والمناســــــــــيـ
ـبُ الكِرامُ العِتــاقُ مــن (عَدْنــانِ) (٦)
رادَةُ العَدْلِ والكَرامَـــــةِ والطُّهـــــ
ـرِ ، وسَرْوِ الآدابِ والإيمـــــــــانِ (٧)
دينُهُمْ . . دِينُ رَحْمَـــــةٍ وسَــلامٍ ،
وهَواهُمْ في العَــدْلِ والإحْسانِ
هُمْ بَنُو العِلْيَةِ الغَطارِيفِ ، مَــن شا
دُوا ، فأعْلَوْا بَواذِخَ العُمْـــــــرانِ (٨)

(٥) الرباط : رباط الفتح ، عاصمة المملكة المغربية ، وهي تقوم على جون من المحيط الأطلنطي عند مصب نهر ابي رقراق مقابل مدينة سلا . بناهـا عبدالمؤمن بن علي مؤسس دولة « الموحدين » في المئة السادسة الهجرية ، وسماها (المؤمنية)، وجعلها رباطاً للجيوش والأساطيل لغزو الأندلس، وبنى بها القصبة والدور والأسواق ، وأحاطها بالأسوار . وتعاقب على توسيعها من جاؤوا بعده . ولما تغلب (الأسبان) على الأندلس ، هاجر اليها خلق من أهله المسلمين ، وتوطنوها فيما توطنوا من حواضر المغرب .

(٦) البهاليل : جمع البهلول ، بضم أوله ، وهو السيد الجامع لصـفات الخير . ـ المناسيب : ذوو الأنساب . . ـ العتاق : جمع العتيق ، وهو الكريم النجيب ذو الشرف .

(٧) الرادة : الطلاب . ـ السرو : الشرف .

(٨) الغطاريف : جمع الغطريف ، بكسر اوله ، وهو السيد الكريم .

خَلَفٌ نابِهٌ لِأَسْلافِ صِـــــــدْقٍ
عَمَرُوا الأَرْضَ مِنْ (بَنِي مَـــرْوانِ) ،

* * *

سَلْ بِمُلْكٍ في (الغَرْبِ) . قد صَيَـــــرُوهُ
(مَشْرِقــاً) للنُبُوغِ والعِـــرْفـانِ (٩)
نَسَخُوا آيَةَ (المَغارِبِ) نَسْخــــــاً ،
فإذا الكَوْنُ كُلُّــهُ (مَشْرِقـــانِ) !
أَطْلَعُوا النَيِّراتِ فيـــهِ وِضــــــاءً
مُشْرِقاتٍ عَــلى مَـــدارِ الأَوانِ
مِنْ ذَوِي اللَّسْنِ والزَّكانَةِ والفَـــــــ
ـنِ المُجَلِّي ، ومِنْ ذَوِي التِّيجــانِ (١٠)
تَحْتَ رايالِهِــــمْ وتَحْــتَ ذَراهُــمْ
وٱزْدِهارِ النَّعِيـــمِ والسُّلْطـانِ ، (١١)
أَزْهَرَ الشِّعْرُ في حِمـــاهُ فأَزْهَـــى
مِثْلَ إزْهــارِ غَرْسِـــهِ في الجِنانِ .

* * *

(٩) سل : طلب ، من : سال يسال (مخفف سأل) ، والباء (بملك) بمعنى (عن) ، ومنه قوله تعالى : (سأل سائل بعذاب واقع) .
(١٠) الزكانة : الفراسة ، و ــ أن يظن الشخص فيصيب ، والشخص زكن ــ بكسر ثانيه .
(١١) الذرا ، بفتح أوله : ما استتر به ، والكنف ، بفتحتين الجانب والظل ، والناحية .

رُبَّ سامي النُّبُوغِ فيهِ سَبُوقٍ

في مَيادِينِهِ طَفُوحِ العِنانِ ، (١٢)

غَبَّرَ النَّقْعَ في وُجُوهِ المُجَلِّيـ

نَ ، وجازَ المَدَى بِيَوْمِ الرِّهانِ ، (١٣)

أَخْمَلَ السَّالِفينَ ذِكْراً ، وأَنْسَى

شِعْرَ (حَسَّانَ) والفتى (الذُّبْياني) (١٤)

* * *

يا (عُكاظاً) . . في جارَةِ الأَخْضَرِ آلهادِ

رِ ، يَرْمي لَحْظاً وَراءَ المَكانِ ، (١٥)

عِبْرَ (بَحْرِ الزُّقاقِ) حَيْثُ الفَرادِيـ

سُ ، وأَطْيافُ دَوْلَةٍ وكِيانِ ، (١٦)

---

(١٢) طفوح العنان : سريع ، شديد العدو . يقال : طفح الفرس : عدا وأسرع . والعنان : سير اللجام الذي يمسك به .

(١٣) النقع : الغبار الساطع ، وغبر في وجهه : سبقه ، كأنه أثار الغبار أمامه . ـ المجلي : السباق . ـ المدى : الغاية .

(١٤) حسان : حسان بن ثابت الانصاري ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشاعره . ـ والفتى الذبياني : النابغة الذبياني زياد بن معاوية أحد أصحاب المعلقات العشر .

(١٥) عكاظ : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذي القعدة ، وتستمر عشرين يوما ، تجتمع فيها قبائل العرب فيتعاكظون ، أي : يتفاخرون ، ويتناشدون الأشعار .

(١٦) العبر ، بالفتح ، والعبر ـ بالكسر مع تسكين الباء : من النهر أو البحر ، شاطئه وناحيته . ـ الكيان : مصدر « كان » شاع استعماله حديثاً اسماً لوجود الشيء من الملك ونحوه .

تَسْتَنيرُ الذّكرى ، فَيَسْتَعْبِرُ المَجْـ
ـدُ ، وتَذْكُو لَواعِجُ الأشْجــانِ (١٧)

كانَ فيها لِلشّعْرِ ألْـفُ (عُكــاظِ)
تَتَعالَى بــه عَــلى « كَيْــــوانِ » (١٨)

. . قد زَفَفْتَ الرّيْحانَ لِلسّابِـقِ الفَذْ
ذِ ، لِــواءِ الفَــوارسِ العِقْبـانِ :

الفَتَى « القُرْطُبِيّ » ، زَيْنِ الرّجالِ النّـ
ـابِهِ الأرْوَعِ الأغَــرّ الهِجــانِ (١٩)

ساكِبِ الرّوحِ في القَرِيضِ ، وكاسِيـ
ـهِ شُعاعَ الزّواهِــرِ الأرْجُوانِــي (٢٠)

بَعْدَ ألْفٍ ، وافَيْتَ أكْرَمَ مَــنْ وا
فاهُ بِالْغــارِ مُزْهِــرَ الأفْنــانِ (٢١)

---

(١٧) يستعبر المجد : تجــري عبرات عينه ، لانحســار سلطان العرب عن (الأندلس) الفردوس الذي اثلوا فيه اروع حضارة ازدهرت ثمان مئة عام وآتت الانسانية ازكى الطيبات في كل مطالب الحياة الشريفة الهانئة. ــ تذكو : يشتد لهبها وتشتعل . ــ اللواعج : الحرق ، والأشجان : جمع الشجن ، بفتحتين ، وهو الهم والحزن ، و ــ الحاجة الشاغلة .

(١٨) كيوان بالفتح والسكون : كوكب زحل .

(١٩) الأروع : الذكي الفؤاد . ــ الأغر : الشريف والسيد . ــ الهجان : الحسيب النقي الحسب .

(٢٠) الأرجواني : الأحمر ، وصف لـ « شعاع » .

(٢١) الغار : شجر دائم الخضرة ، يصلح للتزيين . كـان (الرومان) يتخـذون منه أكاليل يتوجون بها رؤوس قادتهم المظفرين ، وشعرائهـم النابغـين ، اكباراً لمجدهم وتكريماً . ــ الأفنان : جمــع الفنن ، بفتحتين ، وهــو الغصـن .

مَنْ تَراهُ أحَقَّ بالغارِ منه ،
وتَحايا العَمارِ والرَّيْحانِ ؟ [٢٢]

* * *

شِعْرُه الشِّعرُ خالِداً ، وَهْوَ يَحْيا
في ضَميرِ الزَّمانِ كُلَّ الزَّمانِ
يَزْدَهي في الشِّفاهِ رِقَّةَ لَفْظٍ ،
ويَهُزُّ الأرْواحَ لَحْنَ أغاني
رَفَّ رَيْحانُهُ على رَبْوَةِ الخُلْـ
ـدِ رَفيفَ النَّدَى على الأقْحُوانِ [٢٣]
إنَّ ألْفاً ، على شَبابِ قَوافيـ
ـهِ تَوافَيْنَ ، وَهْوَ في العُنْفُوانِ ! [٢٤]
ناضِرٌ ، والحياةُ تَمْرَحُ فيه
مَرَحَ الطِّرْفِ في شَبابِ العِنانِ [٢٥]
خَضِلٌ ، كالخَمائلِ الخُضْرِ : في العَيْـ
ـنِ رُواءٌ ، ولِلْفُؤادِ مَجاني [٢٦]

---

(٢٢) العمار ، بفتح العين وتخفيف الميم : ريحان كان الرجل يحيي به الملك ، مع قوله « عمرك الله » .

(٢٣) الاقحوان : من نبات الربيع ، مفرض الورق دقيق العيدان ، له نور أبيض « كأنه ثغر جارية حديثة السن ! » كما يقول (لسان العرب) ، وهو البابونج والبابونك في الفارسية ، والبابنگ (بضم الباء الثانية وتشديد النون وكاف عجمية) في العامية البغدادية ، والبيبون في لغة بعض جهات العراق .

(٢٤) عنفوان الأمر : اوله ، يقال : هو في عنفوان شبابه ، اي : في نشاطه وحدته .

(٢٥) الطرف ، بكسر الطاء : الكريم من الخيل .

(٢٦) الرواء والرؤاء : حسن المنظر في البهاء والجمال .

رائعٌ ، ساحِرُ الأداء ، ، مُبيـــنُ
صادِقُ الحِسِّ ، مُغْرِبُ الافْتِنـــانِ
كُلَّما شابَ حَوْلَهُ الدَّهْرُ ، أَرْبَـــى
وتَمَلَّى رِئْـياً وَرِيَّ جَنَـــانِ (٢٧)
يَتَصَبّاكَ زَهْـوُهُ وحِـــلاهُ
فَوْقَ ما يَسْتَبِيكَ زَهْـوُ الغَوانـي (٢٨)
وَيُناجِيكَ والهـوى منـكَ دانٍ ،
ويُناغيكَ والقُلـوبُ حَـواني (٢٩)
ويُغَنّيكَ إذْ فُـؤادُكَ غـــافٍ
فتُغَنّيهِ شاجِيَ التَّحْـنانِ
سارِباً في أَحْلامِـهِ وشَجـاهُ
مُسْتَهامـاً بِبَوْحِـهِ الفَتّـانِ (٣٠)
أنْتَ تَصْحُـو وأنْتَ تَسْكَرُ مِنْـهُ ،
يا لَصاحٍ من الهَوَى سَكْـرانِ !

---

(٢٧) اربى : زاد . ـ تملى الشيء : استمتع منه . ـ الرئـي ، بكسر الـراء وسكون الهمزة : المنظر ، من : رايت ، وهو ما راته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة . ـ الجنان ، بالفتح : القلب .
(٢٨) الزهو : المنظر الحسن . ـ يتصباك : يشوقك . ـ ويستبيك : ياسرك . ـ الغواني : الشواب الحسان اللواتي غنين بحسنهن عن الزينة ، الواحدة غانية .
(٢٩) يناغيك : يكلمك بما تهواه ويسرك .
(٣٠) السارب : الذاهب على وجهه في احلامه . و ـ الشجا : الطـرب ، والحزن ـ ضد . ـ المستهام : الهائم ، وهو العاشق . ـ الوجد : الحب.

لَسْتَ تَدْرِي إِذْ تَنْتَشِي منه سُكْراً
كيفَ تَغْشاكَ غَيْبَةُ النَّشْوانِ ![31]
يَنْفُذُ السِّحْرُ منهُ فيكَ، كما يَنْـ
ـفُذُ سِحْرُ النُّجْلِ العُيُونِ الرَّوانِي[32]
إِنَّ أَلْفاظَهُ الرِّشاقَ الصَّبابا
يَتَعاشَقْنَ حُسَّرَ الأَرْدانِ[33]
يَتَلاقَيْنَ ناغِماتٍ طِراباً
كتَلاقِي النَّسِيمِ والأَغْصانِ
يَتَراقَصْنَ فِيهِ مُعْتَنِقاتٍ
مُوقِعاتٍ على تَناغِي المَعانِي
مازَجَ الواقِعَ التَّخَيُّلُ فِيهِ،
فَهُما تَوْأَمانِ مُلْتَصِقانِ
بَلْ هُما الماءُ والسُّلافَةُ، شِيبا
في كُؤُوسٍ، فَاسْتَضْحَكا عَنْ جُمانِ[34]
في مِزاجٍ مِنَ الحَلاوَةِ والطِّيـ
ـبِ، لَذِيذِ المَذاقِ تَحْتَ اللِّسانِ

(٣١) انتشى من الشراب: سكر، فهو نشوان.
(٣٢) النجل: جمع النجلا، وهي الواسعة العين. ـ الرواني: المديمات النظر بسكون الطرف.
(٣٣) حسر: كواشف.
(٣٤) السلافة: الخمر. ـ شيبا: خلطا. ـ الجمان: اللؤلؤ.

كُلَّما ذِيقَ ، جَدَّ في النَّفْسِ شَوْقٌ
وهُيامٌ بِعَذْبِهِ الرَّيّانِ (٣٥)

* * *

يا عَميقَ الإِحْساسِ في ذَوْقِهِ الحُسْـ
ـنَ ، وفي صَوْغِهِ السَّرِيِّ المَباني ! (٣٦)
أَيَّ نَغْمٍ أَبْقَيْتَ لِلْوَتَرِ الحَنْـ
ـنانِ ؟ لِلطَّيْرِ ؟ للصَّدى الرَّنّانِ ؟
ذُبْتَ فيهِ ، أَمْ ذابَ فيكَ جَمالٌ
عِشْتَ في سِحْرِهِ الرَّقيقَ العاني ؟ (٣٧)
قَطَّرَتْ قَلْبَكَ الأَخيذَ دَواعيـ
ـهِ ، ولم يَنْقَطِعْ عَنِ الخَفَقانِ (٣٨)
الهَوى الطّاهِرُ العَفيفُ ٱبْتِلاءٌ ،
ليس في دَفْعِهِ لِنَفْسٍ يَدانِ ! (٣٩)
كنتَ فيهِ المُضْنَى المُعَذَّبَ . لاكِنْ
كُنْتَ فيهِ ، مَعَ العَذابِ ، الهاني (٤٠)
وٱحْتِراقُ القَلْبِ المُعَذَّبِ في السِّرْ
رِ ، وإِعْلانُهُ بِلا كِتْمانِ ،

---

(٣٥) الهيام ، بالضم : كالجنون من العشق .
(٣٦) السري : الشريف .
(٣٧) العاني : الناشب في الاسار ، وهو ـ اي الاسار ـ ما يشد به .
(٣٨) الأخيذ : الأسير .
(٣٩) اليد : الطاقة ، والقدرة ، ومالي به يدان ، اي : طاقة ، يستعمل مفرداً ، ومثنى .
(٤٠) المضنى : من اثقله المرض .

.. شاهِدا عِفّةَ الصّبابةِ في الصّبْـ
ـبِ، وَطُهْرِ المُدَلّهِ الوَلْهانِ (٤١)

* * *

يا (ابْنَ زَيْدُونَ)! ما سَجاياكَ إلاّ
في سِياجٍ مِنَ الهُدى وضَمانِ
نُبْلُ (وَلاّدَةٍ) كَنُبْلِ مَناميـ
ـكَ وَراءَ الظُّنُونِ والزَّيَغانِ (٤٢)
النَّوارُ الشَّمّاءُ عَنْ دَنَسِ العِـرْ
ضِ، وعَنْ سَوْرَتَيْ أذىً وهَوانِ (٤٣)
رَبِيَتْ في السَّناءِ مِنْ عِزَّةِ المُلْـ
ـكِ، وصِينَتْ مِنَ النُّهى في صِوانِ (٤٤)
كانتِ الماءَ في الإباءِ على القَبْـ
ـضِ، وفي مَنْعِ ماخِضٍ للدِّهانِ (٤٥)

*

(٤١) المدله: الساهي القلب، الذاهب العقل من عشق ونحوه. ـ الولهان: الحيران.

(٤٢) الزيغان: الميل الى الفساد.

(٤٣) النوار: المرأة النفور من الريبة. ـ السورة، بفتح السين: الحدة.

(٤٤) السناء: الرفعة. ـ النهى: العقل. ـ الصوان: ما يصان فيه الشيء.

(٤٥) تلميح الى قول (ابن زيدون) في (ولادة):

وغرك من عهد (ولادة) سراب ترا ى وبرق ومض!
هي الماء.. يأبى على قابض ويمنع زبدته من مخض!

يـا صَفِيَّ الوِزارَتَيْنِ ! أَيـنْ لـي :
أَيْنَ شـاراتُ إِمْـرَةِ البُلْـدانِ ؟ (٤٦)

نَصَلَ اللَّوْنُ عَنْ جَلالِكَ في المُلْـ
ـكِ ، ودالَتْ بَهارِجُ السُّلْطـانِ (٤٧)

وآنْزَوَى في الظَّـلامِ ، إِلّا فُنُـوناً
حَمَلَـتْ ذَوْبَ خافِـقٍ ظَمْآنِ (٤٨)

دِنْتَ طَوْعاً بِها الزَّمـانَ ، وعالَيْـ
ـتَ بِإِحْسـانِها نَباهَـةَ شـانِ (٤٩)

هيَ والدَّهْرُ ، ما آزْدَهَى الشِّعْرُ حُسْنـاً ،
في سَواءِ العِنـانِ مقترنـانِ

• • •

لَسْتَ تَرْوِيحَةً عَنِ النَّفْسِ ، ياشِعْـ
ـرُ ! ولا خَطْـرَةً مِـنَ السُّلْـوانِ

ما سَلَوْنا بِكَ الجِهادَ ، وَلاكِـنْ
بِكَ هِجْنا عَزائِمَ الشُّجْعـانِ !

ثَوْرَةَ الحَقِّ . . من لَظَى جَذْوَةِ الشِّعْـ
ـرِ سَناها ، ومِنْ وَقُودِ البَيـانِ (٥٠)

---

(٤٦) الصفي : المختار . ـ ولقب بذي الوزارتين ، لأنه ولي السفارة لابن جهور من ملوك الطوائف بالاندلس ، فكان السفير بينه وبين ملوك الأندلس ، ثم اتصل بالمعتضد صاحب اشبيلية فولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته الى أن توفي باشبيلية في أيام المعتمد على الله ابن المعتمد .

(٤٧) نصل اللون : زال .

(٤٨) الخافق : القلب .

(٤٩) دنت : اخضعت .

(٥٠) الوقود ، بفتح أوله : ما توقد به النار من الحطب ونحوه .

أنتَ عَوْنُ المُغالَبينَ ، وحَـــــــد
مِن حُسامٍ ، وشَفْرَةٌ من سنِـــانِ (٥١)
تتَغنَّى ، وأنتَ وِجْـــــدانُ حـَـيِّ
ذَوَبَتْـــهُ لَوافِـــحُ الإيمـــــانِ
تَلْهِبُ الحِسَّ في الضَّمائِـــرِ وَقْـــداً ،
وتُصَفِّي سَرائِـــرَ الإِنْســــانِ
لا تُـــرَعْ أنْ يُقـــالَ : إِنَّ التَّشابِيــــ
بَ لأَقْباسُ ثَـــوْرَةِ الوِجْــــدانِ .
نحنُ قومٌ نَسْتَذْكِرُ الحُبَّ في الـــرَّوْ
عِ ، ونَغْشَـــى ضَرائِـــمَ النِّيـــرانِ
ونَـــرَى في السُّيُوفِ مُلْتَمِـــعـــاتٍ
لَمْعَ البَرْقِ مِنْ ثُغُـــورِ الحِسانِ
فَنَـــوَدُّ التَّقْبِيـــلَ وَهْـــيَ دَوامٍ ،
والمَنَايـــا مِـــنَ النُّفُـــوسِ دَوانِـــي (٥٢)
قد علِمنْا : لَوْلا الهَوَى وحَنِيـــنُ النَّـــ
ـفْسِ ، لَمْ نَدْرِ ما هَوَى الأَوْطـــانِ !

١ / ١٠ / ١٣٩٥ هـ
٦ / ٩ / ١٩٧٥ م

---

(٥١) السنان : حديدة الرمح . (٥٢) الفوح : الغليان .
(٥٣) في هذه الأبيات الثلاثة تلميح الى قول (عنترة العبسي) في معشـوقته ابنة عمه (عبلة) :

ولقد ذكـرتك ، والرمـاح نواهـل مني ، وبيض الهند تقطر من دمي ،
فـوددت تقبيل السيوف ، لأنهـا لمعت كبـارق ثغـرك المتبسـم !

الزعيم المخلص الصدوق ..

ياسين الهاشمي

ياسين الهاشمي أمة في رجل .. آتاه (الله) مواهب ذهنية ونفسية وخلقية عالية ، سما بها وبرز ، فكان في عنفوان فتوته (قائد فيلق) خواض حروب في (النمسة) وأطراف (الشام) ، يجمع بين الشجاعة والرأي الأصيل . ثم (سياسياً) واسع آفاق التفكير والتدبير ، و (زعيماً) مسدداً مسموع الكلمة تدين له الخاصة والعامة بالحب والولاء . و (رجل حكم) يؤسس قواعد الدولة ، ويحدث لها مقوماتها من مرافق ومصانع ، ويصلح ، ويعمر : يحرك الأمور وهو هادىء ساكن وساكت غير مستطيل بما يصنع وينفع ، ويكون في مقاعد الحكم وزيراً ورئيس وزراء مثله معارضاً على رأس حزب يناضل الانحراف ، ويقاوم هيمنة (الاستعمار) في السر والعلن ، بالحكمة والدهاء ، وهو على غاية من الصدق والاخلاص والوفاء . ـ عرف فيه صاحب الديوان ، في ميعة شبابه ووعيه الوطني ، هذه المزايا ، فناصره ، وكان باعثه الى صياغة هذه القصيدة السياسية فيه مقال ارعن في صحيفة سياسية ، تجنى فيه كاتبه عليه ، حين انضم الى (عبدالمحسن السعدون) في وزارته الرابعة وزيراً للمالية ، و (العراق) يومئذ يعاني شدة بالغة من أزمة مالية خانقة ، تكاد تشرف به على هاوية الافلاس . وما كان شهيد الاخلاص

(عبدالمحسن السعدون) رجل سوء يفرط في شيء من حقوق الأمة والوطن ، فيستراب ، ويتجنبه رجل عظيم كالهاشمي ، ولا يتعاون معه ، على ما سيأتي التنويه به من وطنية (السعدون) الجليل في باب المراثي .

وقد بارى صاحب الديوان في عينيته هذه عينية الشاعر الكبير (معروف الرصافي):

ياسين ! انك بالقلوب مشيع
افانت للوطن العزيز مودع ؟

التي قالها غداة غافصه (البريطانيون) في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٩م ، في (دمشق) ، فاختطفوه ـ وهو فيها يومئذ رئيس ديوان الشورى الحربي في الدولة التي انشئت تحت هيمنتهم ـ وحملوه في سيارة الى معسكرهم في (لد) بـ (فلسطين) المغتصبة ، فثارت (دمشق) تطالب باعادته.

*

أَخْلَصْتَ . . فاصْطَفَقَ الجَنانُ يُرَصِّعُ
وَبَرَرْتَ . . فانْطَلَقَ اللِّسانُ يُرَجِّعُ (١)

ناضَلْتَ ، والأَيّامُ لاهِبَةُ اللَّظَى ،
وَأَسِنَّةُ الأَحْداثِ حَوْلَكَ شُرَّعُ ، (٢)

فَنَضَلْتَ . . وآسْتَرْعَى شُمُوخُكَ (أُمَّةً)
شَمّاءَ ، يَمْلِكُها الأَشَمُّ الأَرْوَعُ (٣)

---

(١) الجنان ، بالفتح : القلب ، واصطفاقه : اهتزاز نبضاته . ـ يرصع : ينسج نبضاته شعراً كما يرصع الطائر عشه ، اي ينسجه . ـ بررت : توسعت في احسانك ووصلك . ـ وترجيع اللسان : ترديده أصوات نبضات القلب.

(٢) ناضلت : باريت في الرمي . ـ اللظى : النار ، أو لهبها . ـ الأسنة : جمع السنان ، وهو نصل الرمح ، اي حديدته . ـ الشرع : المسددات .

(٣) نضلت : سبقت وغلبت في الرماء ، يقال : ناضله فنضله . ـ الأشم : السيد ذو الأنفة والرافع الراس . ـ الأروع : الذكي الفؤاد .

وصَدَقْتَ . فاعتَزَّتْ بِصِدْقِكَ (دَوْلَةٌ)
بِالصِّدْقِ يُدْعَمُ صَرْحُهـا ويُمَنَّعُ !

*

أَيَضِيرُ هاذا الزَّهْوَ (طَيّاشٌ) هَذَى ،
ونَعَى كما نَعَبَ الغُرابُ الأَبْقَعُ[٤]؟
المَجْدُ مَجْدُكَ والفِعالُ شَواهِدٌ
والعِزُّ عِزُّكَ والشَّواهِدُ لُمَّعُ
لا أَدَّعِي لَكَ أَوْ أَزِيدُكَ رِفْعَةً
(اللهُ) زانَكَ ، واعْتَلَى لكَ مَوْقِعُ !

* * *

عِشْ (لِلْعِراقِ) ، فأَنْتَ أَنْتَ عَمِيدُهُ
وإِلَيْكَ في إِزَمِ الحوادِثِ يُهْرَعُ[٥]
ولقد تَقاضاهُ البِلَى ، فكَأَنَّهُ
طَلَلٌ تَأَبَّدَ ، أَوْ خَلاءٌ بَلْقَعُ[٦]!
أَمّا الرَّجاءُ ، فقد تَجَهَّمَ أُفْقُهُ
لَمّا اكْفَهَرَّ مِنَ الشَّقاءِ المَطْلَعُ
وَعَرا النُّفُوسَ الجازِعاتِ مِنَ الأَسَى
يَأْسٌ كَمَرْكُومِ الظَّلامِ مُصَدِّعُ ،

---

(٤) الطياش : الأرعن المتسرع . ـ نعى : عاب وشهر . ـ نعب : صاح وصوت .
(٥) الازم : جمع الأزمة بتسكين الزاي ، وهي الشدة . ـ يهرع : يسعى عجلان ، يقال : هرع واهرع ، بضم أولها .
(٦) الطلل : الشاخص من آثار الدار . ـ تأبد : اقفر . ـ ومكان خلاء : مافيه أحد . ـ البلقع : الخالي من كل شيء .

فَأَنِرْ لَها وَجْهَ الرَّجاءِ ، فَإِنَّما
بِضِياءِ رَأْيِكَ تَسْتَنِيرُ الأَرْبُعُ (٧)

وتَدارَكِ الصَّدْعَ المِلَمَّ ، فَإِنَّما
بِمَضاءِ عَزْمِكَ يُرْأَبُ المُتَصَدِّعُ (٨)

وَاجْمَعْ تَفارِيقَ الرِّجالِ ، فَإِنَّما
بِهُدَى دَهائِكَ يُجْمَعُ المُتَوَزِّعُ

وَاعْمَدْ لِتَخْفِيفِ الضَّرائِبِ . . إِنَّها
وِقْرٌ ، تَنُوءُ بِهِ القِضافُ وتَظْلَعُ (٩)

كم مِنْ يَدٍ لكَ في (العِراقِ) وَضِيئَةٍ !
فَأَضِفْ لِما أَسْدَيْتَ ما هُوَ أَرْفَعُ

واتْرُكْ لكَ الذِكْرَ الجَمِيلَ مُخَلَّداً ،
فالذِكْرُ أَبْقَى ، والمَحامِدُ أَشْيَعُ

إِنّا تَفاءَلْنا تَفاؤُلَ مُدْرِكٍ
لَمّا طَلَعْتَ على الوِزارَةِ تَسْطَعُ :

أَنْ يَشْمَخَ (الوَطَنُ الحَبِيبُ) إِلى الذُّرا
بِكَ رِفْعَةً ، ويَنالَ ما نَتَوَقَّعُ

---

(٧) الأربع : أحد مجموع الربع ، وهو الوطن ، ودار الاقامة .

(٨) الصدع : الشق في الشيء الصلب . ـ الملم : بكسر الميم : الشديد . يراب : يصلح .

(٩) الوقر : الحمل الثقيل . ـ تنوء به : تنهض به بجهد ومشقة . القضاف : الضعاف النحاف . ـ تظلع : تغمز في مشيها عرجا .

وَلأَنْتَ أَمْثَلُ مَنْ يُرَجَّى شَأْوُهُ
في الصّالِحاتِ ، وشَأْنُهُ المُتَرفِّعُ (١٠)

* * *

ولَقَدْ تَتَرَّعَ في المَقالِ مُعاتِبٌ
أَنْحَى عليكَ ، ولَمْ يَزَعْهُ تَوَرُّعُ (١١)

ماذا رَأَى ، فَيَنالَ مِنْكَ ؟ فإنَّما
تُلْحَى الرِّجالُ إذا بَغَوْا وتَخَدَّعُوا (١٢)

وتَسَنُّمُ « الكُرْسِيِّ » ، لَيْسَ بِسُبَّةٍ
تَصِمُ الرِّجالَ ، وإنِ اسْتَرابَ الإِمَّعُ (١٣)

بِجَلالِ مِثْلِكَ ، يُسْتَزادُ مَناعَةً
ويُرَى لِعِزَّتِهِ الجَلالُ الأَرْفَعُ

---

(١٠) الشأو : السبق ، والغاية ، والمدى .

(١١) تترع : تسرع بالشر . ــ المكاشح : المعادي . ــ انحى عليك : مال عليك بلومه . ــ لم يزعه : لم يكفه . ــ التورع : التحرج من الوقوع في الاثم .

(١٢) تلحى الرجال : تلام وتعذل . ــ بغوا : ظلموا ، وعدلوا عن الحق ، واستطالوا . ــ تخدعوا : ارادوا بالناس المكروه ، يقال : خدعه ، وخادعه ، وخدعه ، وتخدعه ، واختدعه .

(١٣) الكرسي : منصب الوزارة . ــ السبة : العار . ــ تصم : تعيب . وصمه يصمه وصماً : عابه . ــ استراب به : راى منه مايريبه . ــ الامع : الذي لاراي له ولاعزم ، فهو يتابع كل احد على رايه ولا يثبت على شيء .

أوَ ما كَفَى دَسْتَ الوِزارَةِ حِطَّةً
أنْ يَطْمَعَ الضّاوِي بِهِ والألْكَعُ ؟ (١٤)

• • •

أنا لَسْتُ عَنْكَ مُدافِعاً . لاكِنَّهُ
حَقٌّ أُذِيلَ ، فَجِئْتُ عَنْهُ أدْفَعُ (١٥)
كَثُرَ الكِيادُ لَهُ ، وقَلَّ نَصِيرُهُ ،
فَكأنَّما هُوَ باطِلٌ ، أوْ أشْنَعُ !

• • •

(ياسِينُ) ! إنَّ مِنَ الثَّناءِ تَزَلُّفاً
غَيْرِي يُزَوِّقُ وَشْيَهُ ويُلَمِّعُ
أنا شاعِرُ العَلْياءِ .. إنَّ مَطامِحِي
غُرَرُ المَعالِي والفَعالُ الأرْوَعُ (١٦)
أجْلَلْتُ شِعْرِي أنْ يَكُونَ صَدَى هَوىً
تُوحِيهِ حاجاتُ النُّفُوسِ فَيَطْمَعُ
وإذا بَدا وَجْهُ الرَّجاءِ مُكَلَّحاً
جَهْماً ، يَثُوبُ إلى الهِجاءِ ويُقْذِعُ (١٧)

---

(١٤) الدست : كرسي الوزارة ، أو الرئاسة ، ومنه قول أبي اسحاق ابراهيم بن يحيى الغزي في وزير ضعيف :

من آلة الدست لم يعط الوزير سوى تحريك لحيته في حال ايماء
فهو الوزير ، ولا وزر يشد به مثل العروض ، له بحر بلاماء

ـ الضاوي : الضئيل الحال . ـ الألكع : اللئيم الدني ، والاحمق .

(١٥) اذيل : اهين ولم يحسن القيام عليه .

(١٦) الفعال ، بالفتح : اسم الفعل الحسن . ـ الأروع : الذي يعجبك حسنه .

(١٧) الجهم : الوجه الغليظ المجتمع السمج . ـ يقذع : يرمي بالفحش وسوء القول . يقال : قذعه ، كمنعه ، واقذعه .

الشِّعْرُ . . إلاَّ أنْ تكُونَ عَقِيدَةً

تُوحِيهِ ، زُلْفَى مُعْتَفٍ يتَذَرَّعُ (١٨)

وَهَوايَ مَجْدُ العَبْقَرِيَّةِ والعُلا :

أَزِنُ الرِّجالَ ، وما تَقُولُ وتَصْنَعُ

أخْلَصْتَ . . فَاصْطَفَقَ الجَنانُ يُرَصِّعُ

وبَرَزْتَ . فَانْطَلَقَ اللِّسانُ يُرَجِّعُ !

٢٦/ ٩/ ١٩٢٩ م

* ——— *

---

(١٨) المعتفي : الذي يأتيك يطلب معروفك . ـ يتذرع بذريعة : يتوسل بها لحاجة في نفسه .

نهايــة المطــاف

في عام ١٤١٠هـ ـــ ١٩٩٠م أصدر المجمع العلمي الجزء الاول من « ديوان الأثري » في إحدى وخمسين وخمسمائة صفحة ، وضمّ ثلاثة أبواب :

الباب الأول : ينابيع الفيض ، وهو سبع عشرة قصيدة .
الباب الثاني : الفصحى والشعر ، وهو عشر قصائد .
الباب الثالث : أغاني الحرية وملاحم التحرير ، وهو سبع وستون قصيدة .

وقدم الشاعر قسما من الجزء الثاني وبدأ المجمع بطبعه وتصحيح تجارب الطبع ولكن توقف عن التصحيح عند الصفحة الثامنة عشرة والمائــة وذلك في اليوم الثالث عشر من أيلول عام ١٩٩٤م ، لانه شغل بتدقيق تجــارب كتاب « محمد بهجة الأثري » الذي ضم البحوث التي قدمت في حفــل تكريمه يوم الثلاثاء السابــع من جمادى الآخــرة ١٤١٤هـ الموافــق للثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩٩٣م .

وودع الشاعر دنياه يوم السبت الرابع من ذي القعــدة ١٤١٦هـ الموافق للثاني والعشرين من آذار ١٩٩٦م ، وصدر الكتاب بعد ذلك باسبوع ليكون خاتمة حياة الأديب الكبير الــذي خدم لغة القرآن والثقافــة العربية اكثر من نصف قــرن .

ولكن ماذا عن الجزء الثاني من الديوان ؟

لقد ترك الشاعــر بعضه صفحات مصححة ، بعــد أن توقف طبعــه عام ١٩٩٤م ، ولم يكن أمام المجمع العلمي إلا أن يطبــع تلك الصفحات بعد أن لم يجد غيرها ، وذلك تخليدا لذكرى الشاعر الذي كانت له يد طولى في تأسيس المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٤٧م ، وفي رفده بالبحوث ، واسهامه في نشاطه

العلمي خلال خمسين عاما ، لم يتوان فيها عن العمل الجـاد ، وظل مواظبا على حضور جلسات المجمع ولجانه وندواتـه حتى الأشهر الأخـيرة من حياته ـ رحمه الله ـ .

وكان الأمل عظيما في أن يُنجز طبع ديوان الأثـري كله ، ولكن لا مرد لحكم الله ، وها هو الجزء الثاني يصدر ليكون شاهدا على شاعرية عالم جليل ، ومخلص أمين للغة الضاد ، وثقافة العرب .

والجزء الثاني تتمة للأول إذ بـدأ بالباب الرابع وهـو « الطبيعة ودنيا العمران » وقد ضم عشر قصائد ، وثنّى بالباب الخامس وهو «مجد وعناوين» وقد حوى أربع قصائد .

إن صدور هذا القسـم من الديوان بعد أن ودع الشاعـر دنياه بعض ما يكنه المجمع العلمي للراحل من تقدير وتبجيل ، ولعل الأيام تسعف في طبع الديوان كله ، ليكـون صفحة من صفحات الشاعر المشرقـة ، وشاهدا على مسيرته الفكرية خلال حياتـه التي امتدت حافلة بالأعمـال الجليلة في خدمة العراق والأمة العربية .

رحم الله الاستاذ محمد بهجة الأثري فقد كان عالما جليلا ، وشاعرا مفلقا ، وباحثا قديرا ، وسلام عليه يوم ولد ، ويـوم مات ، ويوم يبعث حيا ، وإنا لله وإنا اليه راجعون .

الاثنين / ١٠ جمادى الأولى ١٤١٧هـ
٢٣ أيلول ١٩٩٦م .

الدكتور احمد مطلوب
عضو المجمع العلمي
وامينه العـام

* * *

قصائد الديوان

٨١١٫٩٢
أ ٣٤٩ الأثـري ، محمد بهجة
ديـوان الأثـري / تأليـف
محمد بهجة الأثري . ـ بغداد :
المجمع العلمي العراقي ، ١٩٩٦
ج٢ (١١٦ ص) ؛ ٢٤سم
١ ـ الشعـر العربـي ـ العـراق ـ
دراسـات أ . العنـوان
م . و
٣٦١ / ١٩٩٦

المكتبـة الوطنيـة (الفهرسـة اثنـاء النشـر)

السعر (الف) دينار